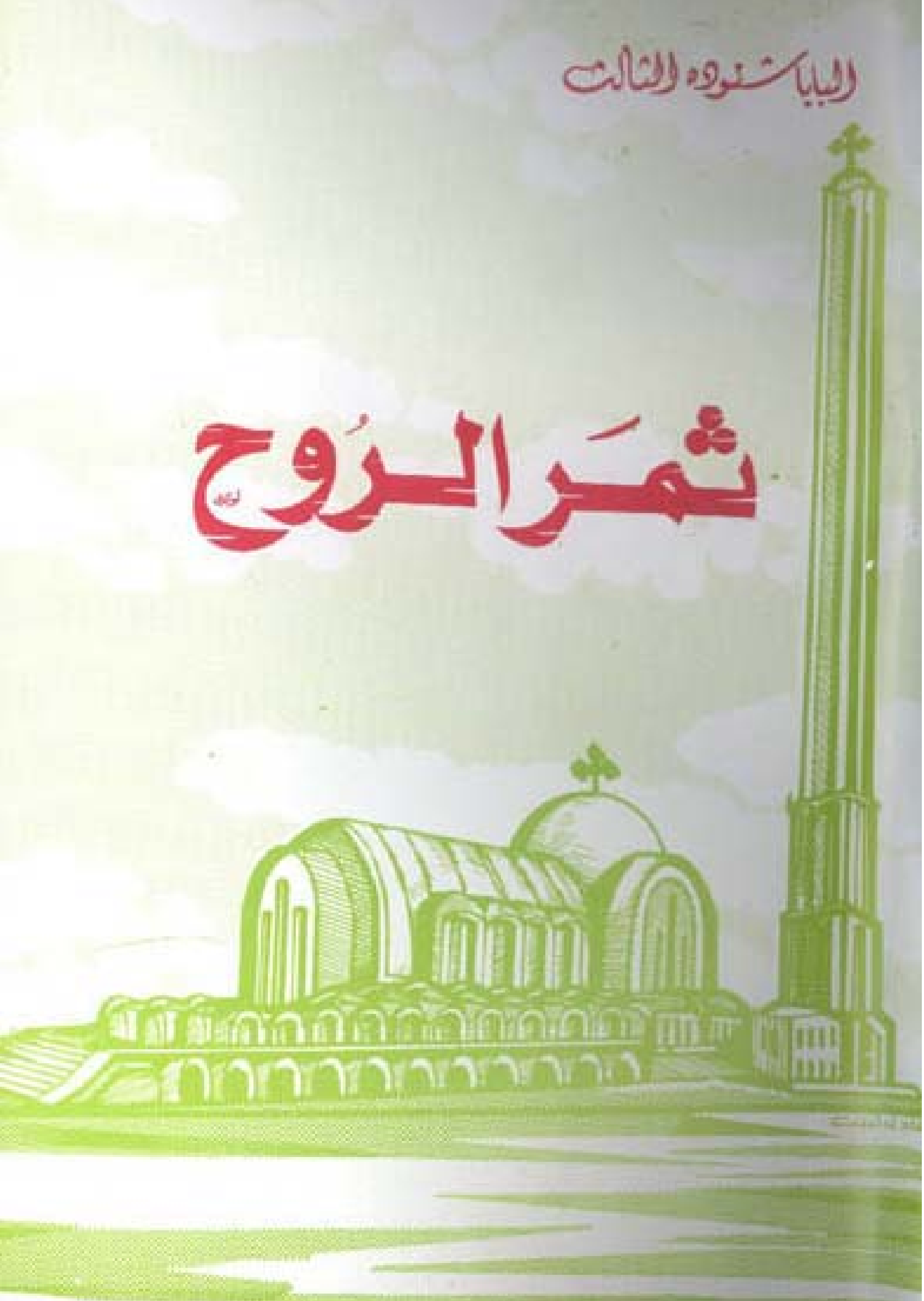
htm




البابا شنوده الثالث
ثمر الروح



قداسة البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية (١١٧)

مقدمة

لابد للروح أن يكون لها ثمر في الإنسان ، لأن السيد الرب يقول "من ثمارهم تعرفونهم" (مت٨: ٢٠) وأيضاً :

"كل شجرة لا تصنع ثمراً، تقطع وتلقى في النار" (مت٧: ١٩) .

والثمر الجيد هو ثمر الروح ، وليس ثمر الجسد .

والروح الإنسانية التي تصنع ثمراً، هي التي تشترك مع الله في العمل، وتدخل في "شركة الروح القدس" (٢كو١٣: ٤) . وإن اشتركت روح الإنسان مع الروح القدس، سوف تستطيع أن تشرك الجسد معها، وتقوده في العمل الروحي .

إذن ثمر الروح ، هو ثمر الروح التي قادت الجسد . وصارت هي وهو تحت قيادة الروح القدس .

ذلك "لأن كل الذين ينقادون بروح الله، فأولئك هم أبناء الله" (رو٨: ١٤) .

فهل المقصود بثمر الروح ، هو ثمر الروح الإنسانية ، أم ثمر الروح القدس .

الإجابة هي شركة الروح القدس مع الروح الإنسانية . ذلك لأن الروح الإنسانية وحدها لا تستطيع وحدها أن تعمل شيئاً بدون شركة روح الله معها ...

الإنسان هو هيكل لروح الله ، وروح الله ساكن فيه (١كو٣: ١٦) (١كو٦: ١٩) .

روح الله ساكن في الإنسان ويعمل .

ولكن يلزم إستجابة الإنسان لعمل الروح فيه .

وذلك بأن يشترك مع روح الله في العمل .

وهنا يأتي ثمر الروح نتيجةً لهذه الشركة .. ذلك لأن الله لا يرغم الإنسان على عمل الخير، بل لابد أن يعمله بإرادته .. وإلا فقد العمل قيمته . ولم تعد له مكافأة .

وقد شرح الرسول ثمر الروح فقال :

"وأما ثمر الروح فهو : محبة فرح سلام ، طول أناة لطف صلاح، إيمان وداعة تعفف" (غل٥: ٢٢، ٢٣) .

ونحن نود فى هذا الكتاب أن نحدثك عن هذا كله ، فى إيجاز وتركيز. لأن كل واحدة من هذه الثمار التسع، قد تحتاج إلى كتاب خاص . وقد اصدرنا لك كتاباً عن المحبة ، وآخر عن الإيمان. وكان بودى أن أصدر لك كتاباً عن الوداعة .

ولكن رغبة فى تجميع الأفكار وعدم تشتتها ، نشرنا لك هذا الكتاب عن ثمر الروح كله معاً.

ونلاحظ أن كل ثمرة يمكن أن تتعلق بغيرها من الثمار . لأن الحياة الروحية مرتبطة ببعضها البعض فى كل التفاصيل .

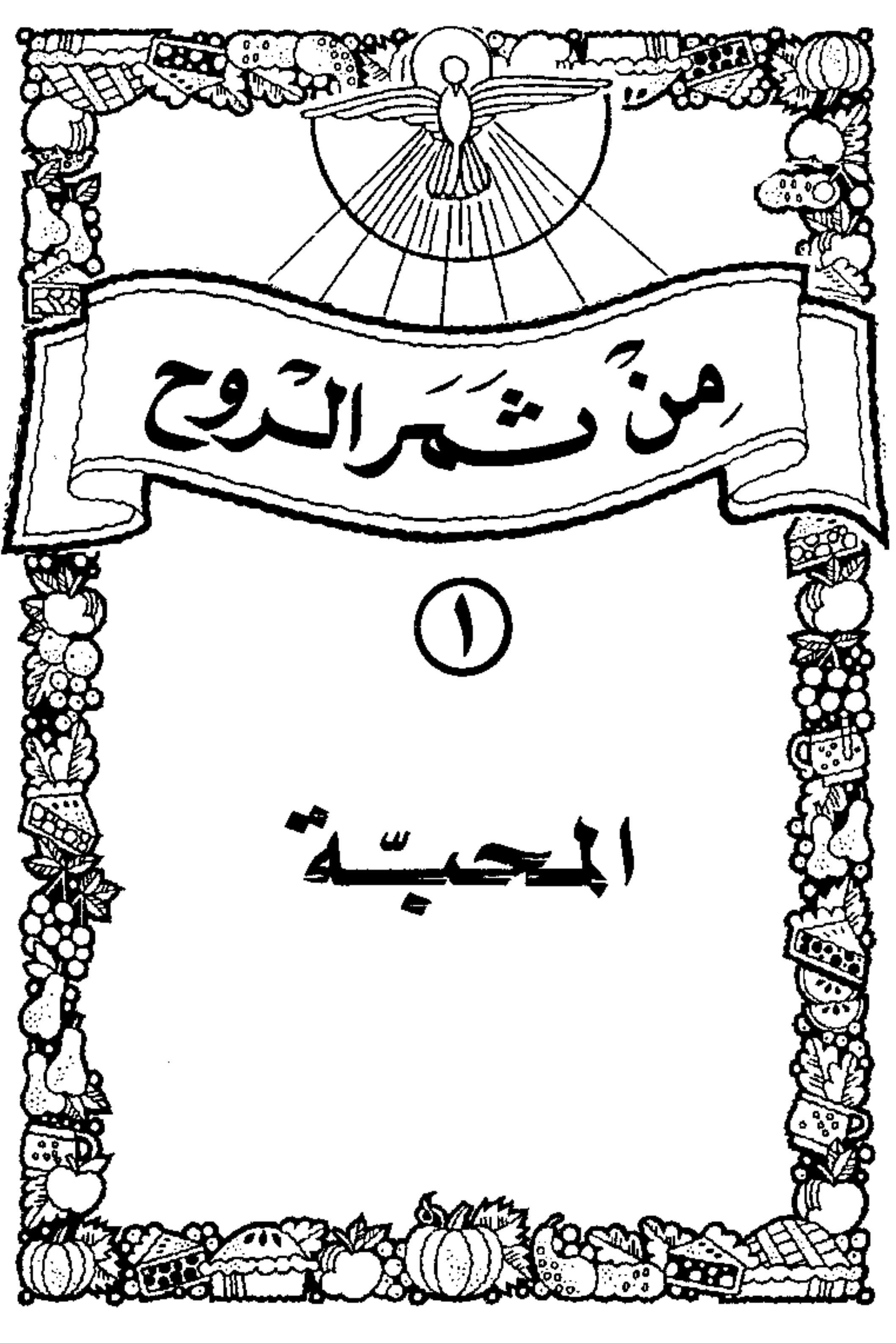
أتركك الآن أيها القارئ العزيز لكى تتأمل فى ثمار الروح ، ولكى تجعلها جميعاً ثمراً لحياتك مع الله ولعمل الروح فيك .

وليكن الله معك، يعينك فى كل ما تفعله .

البابا شنوده الثالث

٣١ أكتوبر ١٩٩٦

عيد القديس الأنبا رويس


مِنْ ثَمَرِ الرّوح
١
المحبّة

أود أن أبدأ معكم سلسلة جديدة عن (ثمار الروح) . هذه التي شرحها الوحي الإلهي على لسان بولس الرسول قائلاً : "وأما ثمر الروح فهو : محبة ، فرح ، سلام، طول أناة، لطف، صلاح، وداعة، تعفف. ضد أمثال هذه ليس ناموس" (غل٥: ٢٢، ٢٣) . ويبدو واضحاً من هذه الآية أن المحبة هي أولى ثمار الروح .

فلنتأمل إذن فضيلة المحبة أولى ثمار الروح :

المفروض في الإنسان أن يكون هيكلاً للروح القدس، ويكون روح الله ساكناً فيه. ولقد أرسل لنا السيد المسيح الروح القدس، لكي يسكن فينا إلى الأبد، ولكي يعمل فينا ويعمل بنا، ويكون لعمله فينا ثمار، هي ثمار الروح (١كو٣: ١٦) (يو١٤: ١٦، ١٧) .

وفي مقدمة ثمار الروح : المحبة والفرح والسلام . ولنبدأ بفضيلة المحبة وعلاقتها بالفرح والسلام .

أهم ما أريد أن أكلمكم عنه في المحبة ، هو محبة الله ، ومحبة الخير. وكل منهما تؤدي إلى الأخرى .

محبة الله توصل إلى محبة الخير والفضيلة. ومحبة الخير والفضيلة توصل إلى محبة الله. وكل منهما تقوي الأخرى .

إذا أحب إنسان الخير، لا يكون له صراع مع الشر .

كثير من الناس يضيعون حياتهم في الصراع مع الخطية أو في مقاومة الشيطان، لكي يصلوا بهذا إلى حياة التوبة. وحياة التوبة هي البعد عن الخطية التي يحبونها .

أما الإنسان الذي يحب الخير ، فقد ارتفع فوق مستوى التوبة ، وفوق مستوى الصراع مع الخطية .

عبارة "الجسد يشتهي ضد الروح، والروح يشتهي ضد الجسد"، هي عبارة خاصة بالمبتدئين، الذين يجاهدون ضد الجسد غير الخاضع للروح . أما الجسد النقي، البار، الذي

يحب الخير، فهو لا يشتهى ضد الروح . (غل٥: ١٧) .

الإنسان الذى يحب الخير ، لا يجاهد للوصول إلى التوبة، إنما كل جهاده هو للنمو فى محبة الله ومحبة الخير .

إنه جهاد إيجابى ، وليس جهاداً سلبياً .. إنه انتقال من درجة فى القداسة إل درجة أعلى منها .

إنه جهاد لذيذ بلا تعب ...

إنما يتعب فى جهاده ، الإنسان الذى يقاوم نفسه، نفسه التى لا تحب الفضيلة، بل تحب الظلمة أكثر من النور" (يو٣: ١٩) .

أما الذى يحب الخير ، فقد دخل إلى راحة الرب، دخل إلى سبته الذى لا ينتهى، يتدرج فيه من خير إلى خير أكبر، بلا تعب، بلا تغصب.

إن فضيلة "التغصب" ليست للقديسين الذين يحبون الخير، فالذين يحبون الخير، لا يغصبون أنفسهم عليه، بل يفعلونه تلقائياً، بلا مجهود .

الذى يحب الخير ، لا يرى وصية الله ثقيلة، بل يحب ناموس الرب "فى ناموس الرب مسرته، وفى ناموسه يلهج نهاراً وليلاً" .

صدق يوحنا الرسول عندما قال "ووصاياه ليست ثقيلة" (١يو٥: ٣) . إننا نشعر أن وصايا الرب ليست ثقيلة، حينما نحبها، ونتغنى بها ونقول "وصية الرب مضيئة تنير العينين، فرائض الرب مستقيمة، تفرح القلب" (مز١٨) .

إن الذى يحب الرب ويحب الفضيلة، قد ارتفع فوق مطالب الناموس، ودخل فى الحب.

إنه يفعل الخير ، بلا وصية ، بل بطبيعته الخيرة. ليس هو محتاجاً إلى وصية تدعوه إلى الخير .

إنه يفعل الخير ، لأن الخير من مكوناته ، كصورة لله .. يفعل الخير كشئ عادى، طبيعى، كالنفس الذى يتنفسه، دون أن يشعر فى داخله أنه يفعل شيئاً زائداً أو عجيباً .

ولهذا فإنه لا يفتخر بالخير ، إذ أنه فى نظره شئ طبيعى ...

أما الذى لا يحب الخير ، فإن وصية الله ثقيلة عليه. لذلك فكثيراً ما تكون بينه وبين الله عداوة!! يشعر أن الله يسلبه لذته (الميالة إلى الخطية) . ويشعر أن وصية الله تقيده ، وتحاول أن تسيره فى طرق لا يريدها .. وهكذا يرى أن طريق الله صعب ، وأنه لا

يسير فيه، إلا مضطراً .

من هذا النوع الذى لا يحب الخير، الإنسان الوجـودى الملحد، الـذى يـرى أن وجـود الله ، عائق ضد وجوده هو ...

أى أنه لا يشعر بوجوده إذا آمن بوجود الله ، ولذلك يقول "الأفضل أن اللـه لا يوجد، لكى أوجد أنا" ..!

كل ذلك لأنه لا يحب الخير . وعدم محبته للخير أوصلته إلى عـدم محبـة اللـه. ولـهذا فإن الابن الضال، عندما أراد أن يتمتع بحريته وشخصيته، ترك بيت أبيه..! (لو١٥: ١٣)

أما الإنسان الذى يحب الخير ، فليست بينه وبين الله عداوة . لأنه يوجد اتفـاق بين مشيئته ومشيئة الله .

إنه يحب الله ، ويجد فيه مثالياته العليا، ويحب فيه الخير الذى يشـتهيه . ويصبـح اللـه شهوته ، وهو لذته .

الإنسان الذى يحب الخير يعيش فى فرح دائم وفى وسلام ...

وكما يقول الكتاب "افرحـوا فـى الـرب كل حيـن، وأقـول أيضـاً افرحـوا" . إنـه يفـرح بالرب، لأنه يجد لذته في المعيشة معه ، ويجد أن مشيئة الله هى مشيئته، وأن مشيئته هـى مشيئة الله .

متى إذن يبدأ الإنسان فى أن يفقد محبة الله ومحبة الخير ؟

لما يبدأ فى معرفة الشر ، وفى مذاقته ، وفى الإلتذاذ به .

وهذه هى التجربة التى أوقع فيها الشيطان الإنسان الأول. كـان آدم وحـواء لا يعرفـان إلا الخير ، فأدخلهما فى معرفة الخير والشر . أى أضيفت إلـى معرفتهمـا للخـير، معرفـة الشر (تك٣: ٥) .

بدأ الإنسان يختبر الشر ، وتكون بينه وبين الشر علاقة وعاطفة .

هناك أشياء من الخير للإنسان ألا يعرفها وألا يختبرها . وعن هذه قال الكتاب "الـذى يزداد علماً، يزداد غماً" (جا١: ١٨) .

قال الشيطان لحواء "يوم تأكلان تنفتح أعينكمـا" . وكـان خـيراً لهمـا ألا تنفتـح أعينهمـا على ذاك اللون من المعرفة .

يا ليت أن الإنسـان لا يعـرف سـوى الخـير ، حينئذ يعيش سـعيداً . يعيـش فـى محبـة

للناس، لأنه لا يعرف إلا الخير الذى فيهم، وليس غيره .

سيأتى وقت ، فى الأبدية السعيدة ، حينما نتقيأ ثمرة معرفة الخير والشر، ولا نعود نعرف سوى الخير فقط، وننسى معرفة الشر .

سيمحو الله من ذاكرتنا كل الشر الذى رأيناه تحت الشمس، ولا يبقى فينا سوى الخير وحده، نعرفه، ونتأمله، ونختبره، ونذوقه، فنزداد حباً له.. ونمارسه بالحب .

نحن لا نفعل الخير مضطرين ، ولا مأمورين ، ولا متغصبين، وإنما نفعل الخير حباً فى الخير .

تأكد أنه عندما يزن الله أعمالك فى الأبدية، ليرى ما فيها من خير، سيزن الحب الذى فيها، ولا يأخذ الله من أعمالك سوى الحب فقط، ولا يكافئك إلا على ما فيها من حب .

كيف يطبق هذا المبدأ فى حياتنا وفى أعمالنا ؟

خذ الخدمة كمثال : إنها ليست مجرد نشاط أو تعب أو عظات، إنما: هل أنت تخدم وأنت تحب الناس، وتحب خلاصهم، وتحب بنيان الكنيسة والملكوت؟ وتحب الله الذى يحبهم، والذى تريدهم أن يحبوه .. تأكد أن الله سوف لا يأخذ من خدمتك سوى الحب ..

وهكذا ينجح فى الخدمة، من يراها حباً. حب الله والناس يقوده إلى خدمتهم. وكلما يخدمهم يزداد حباً لهم ، فيزداد خدمة لهم. ونفس الوضع نراه فى الصدقة ...

إنها ليست مجرد طاعة لوصية، فالكتاب يقول "المعطى المسرور يحبه الرب" . ليس مالك الذى تعطيه هو الذى يحسب لك عند الله، وإنما الحب، الحب الذى يرتفع فوق مستوى العشور والبكور والنذور، وفوق مستوى الأرقام، ويعطى بسخاء ولا يعير .

أولى ثمار الروح القدس هى المحبة . لذلك عندما عاتب الرب ملاك كنيسة أفسس، ودعاه إلى التوبة، لخص عتابه كله فى عبارة واحدة، لم يذكر فيها خطية معينة، إنما قال: "**عندى عليك أنك تركت محبتك الأولى**" (رؤ٢: ٤) .

من أجل هذه المحبة قال الرب "يا ابنى أعطنى قلبك" . وإن أعطيتنى هذا القلب، فحينئذ "ستلاحظ عيناك طرقى" . فتكون إطاعة الوصايا هى نتيجة طبيعية للمحبة (أم٢٣: ٢٦) .

كثير من الناس سلكوا فى حياة التوبة من الخارج، ولم يسلكوا فى الحب الذى من

الداخل، فأصبحت بينهم وبين الله علاقات وممارسات وطقوس، وليس بينهم وبينه حب، ففشلت حياتهم ...

لما سئل السيد المسيح "أية وصية هي العظمى في الناموس؟" .. أجاب إنها المحبة بشطريها: تحب الرب إلهك من كل قلبك.. وتحب قريبك كنفسك.. بهذه المحبة يتعلق الناموس كله والأنبياء (مت٢٢: ٢٦- ٤٠).

كثيرون سيقولون له في اليوم الأخير "يارب بإسمك تنبأنا، وبإسمك أخرجنا شياطين.." (مت٧). ولكنه سيترك كل هذا ويسألهم عن الحب الذي فيهم .

إنها ليست مسألة معجزات ومواهب، فما أكثر الذين هلكوا على الرغم من مواهبهم. لذلك فإن الرسول بعد أن تحدث عن المواهب الروحية ، قال "أريكم طريقاً أفضل" .. وتحدث عن المحبة (١كو١٣) .

وبمقدار محبتنا لله، سيكون فرحنا به في الأبدية، وستكون سعادتنا .

نجم سيمتاز عن نجم في الرفعة، وهذه الرفعة ستحددها المحبة .

وإذا أحببت الله سوف لا تخاف ، لأن المحبة تطرح الخوف إلى خارج.. إذا أحببت سوف لا تخاف الله ، ولا تخاف الخطية، ولا تخاف الناس، ولا تخاف الموت ..

بالحب يعيش الإنسان في فرح دائم، يفرح بالرب الذي يقوده في موكب نصرته ، من خير إلى خير، ويفرح لتمتعه بالرب، ولأن الخطية لا مكان لها في قلبه ولا مكانة .

حقاً قد تحدث له حروب ومقاومات من الشيطان، ولكنها ضيقات من الخارج فقط، وأما في الداخل فيملك عليه السلام. وهكذا يجتمع في قلبه المحبة والفرح والسلام .

أريدكم أن تدربوا أنفسكم على هذا الحب، اخرجوا من مظاهر الحياة الروحية، وادخلوا إلى عمق الحب. والمحبة لن تسقط أبداً .

لقد أنكر بطرس معلمه ، وسب ولعن وقال : لا أعرف هذا الرجل. ولكن الرب لم يسأله سوى سؤال واحد "أتحبني؟" .. وأجاب بطرس :

"أنت تعلم يارب كل شئ. أنت تعلم أني أحبك" (يو٢١: ١٥- ١٧).

وبهذه المحبة نال الغفران، ورجع إلى رتبته الرسولية .

لست أود أن استرسل معكم كثيراً عن المحبة، فقد أصدرت لكم كتاباً كبيراً بعنوان (المحبة قمة الفضائل) .


من ثمر الروح
٢
الفرح

خلق الله الإنسان منذ البدء للفرح .

ولذلك وضعه فى جنة هى جنة عدن (تك٢) . وأحاطه بكل وسائل الراحة . ومن أجله خلق كل شئ: السماء والأنوار ، والأنهار والثمار والأزهار وفى الأبدية يعدّ له أفراحاً أخرى لا يُعبر عنها: "ما لم تره عين، ولم تسمع به أذن، ولم يخطر على قلب بشر" (١كو٢: ٩). بل بالموت مباشرة ينقله الرب إلى فردوس النعيم، حيث فرح العشرة مع الرب والملائكة وأرواح القديسين .

بل وفى هذه الحياة الدنيا، أوجد الرب للإنسان ألواناً من الفرح .

فجعل له يوماً فى الأسبوع يستريح فيه ويفرح . ومنذ العهد القديم أعد الله للإنسان أعياداً مقدسة يفرح فيها (لا٢٣) ، مع أعياد أخرى فى العهد الجديد . وأعطاه أيضاً أن يفرح بكل تعبه الذى يتعبه تحت الشمس (جا٥: ١٨) .

وهنا نبدى ملاحظة ، وهى الفرق بين اللذة والفرح .

اللذة خاصة بالجسد وحواسه . أما الفرح الحقيقى فهو خاص بالروح .

إنسان يتلذذ بالطعام والشراب ، إنها لذة الجسد. وإنسان آخر يلتذ بالمناظر، ويشبع عينيه من أى منظر جميل. إنها أيضاً لذة تختص بحواس الجسد. وثالث يلتذ بالسمع والموسيقى، إنها لذة الحواس. ولكن تشترك هنا الروح إن كان ما يسمعه ألحاناً روحية، أو كلمات روحية تشبع روحه .

وحينما نتكلم عن الفرح ، إنما نتكلم عن فرح الروح .

لأن هناك فرحاً نفسانياً ، وهو فرح باطل .

فرح باطل

مثال ذلك الذى يفرح بسقطة عدوه أو بليته، وهذه خطيئة خاصة بالنفس، قال عنها سليمان الحكيم "لا تفرح بسقوط عدوك" (أم٢٤: ١١). إنه فرح آثم، لأنه نوع من الشماتة.

وهو ضد المحبة، حسبما قال الرسول "المحبة لا تفرح بالإثم" (١كو١٣: ٦) .

من الفرح الباطل أيضاً : الفرح الممزوج بالكبرياء ، بالذات .

مثلما رجع التلاميذ السبعون فرحين يقولون للرب "حتى الشياطين تخضع لنا باسمك". فوبخهم على ذلك بقوله "لا تفرحوا بهذا.. بل افرحوا بالحرى أن أسماءكم قد كتبت فى ملكوت السموات" (لو١٠: ١٧- ٢٠). مثال ذلك الذين يفرحون أيضاً بالتكلم بألسنة!! إنه أيضاً فرح ممزوج بالذات وعظمتها ومواهبها، وليس بملكوت الله ...

هناك إنسان يفرح بالخطية !!

هذا الفرح هو خطية أخرى تضاف إلى خطيته . إنه يذكرنا بأولئك الذين قال عنهم الرسول "الذين مجدهم فى خزيهم، الذين يفتكرون فى الأرضيات" (فى٣: ١٩) .

نوع آخر هو الذين يفرحون بأمور تافهة مادية .

مثال ذلك الابن الكبير الذى لم يفرح بعودة أخيه الضال، ولام أباه قائلاً "وقط لم تعطنى جدياً، لأفرح مع أصدقائى" (لو١٥: ١٩)!! هذا الذى يفرحه جدى، لاشك أن مستواه الروحى ضعيف، ورغباته أرضية ..

هذا اللون من الفرح جربه سليمان الحكيم حينما قال "..ومهما اشتهته عيناى، لم أمنعه عنهما" ووجد بعد ذلك أن كل ذلك باطل وقبض الريح هو" (جا٢: ١٠، ١١) . ولذلك قال عن مثل هذا الفرح "وعاقبة الفرح حزن" (أم١٤: ١٣) . وقال أيضاً "قلب الجهال فى بيت الفرح" يقصد الفرح الباطل (جا٧: ٤) . وقال "الحماقة فرح لناقص الفهم" (أم١٥: ٢١) .

إنه الفرح العالمى ، الخاص بالحواس وبالجسد، أو الفرح النفسانى غير الروحانى، إذن ما هو الفرح الروحانى ؟

الفرح الروحى

١ – هو الفرح بالرب . فرح الوجود فى حضرة الرب ، وفى عشرته . أو فرح الإلتقاء بالرب .

كما قيل عن التلاميذ إنهم فرحوا لما رأوا الرب (يو٢٠: ٢٠) . وتحقق بهذا وعده لهم "ولكنى أراكم فتفرح قلوبكم. ولا ينزع أحد فرحكم منكم" (يو١٦: ٢٢) .

هذا الفرح الذى قال عنه القديس بولس الرسول :

افرحوا بالرب كل حين ، وأقول أيضاً افرحوا" (فى٤: ٤) .

إنه فرح بالرب ، وفرح في الرب ، كل حين . شاعرين بوجوده معنا، كما كان التلاميذ فرحين بالرب معهم "يحدثهم عن الأمور المختصة بملكوت الله" (أع١: ٣) .

فهل أنت تفرح بوجود الله في حياتك ، أو في حياة غيرك ؟

اسأل نفسك كل يوم : هل فرحك بالرب ، أم له أسباب أخرى ؟

٢ – في تسبحة العذراء ، نجد هذا الفرح الروحي بالرب ، إذ تقول :

تعظم نفسي الرب ، وتبتهج روحي بالله مخلصي (لو١: ٤٧) .

إنها تبتهج بالله وخلاصه . فهل أنت أيضاً تفرح بالخلاص وبالفداء ، بالكفارة التي قدمها المسيح لأجلك . إن الكنيسة تذكرنا بهذا الخلاص كل يوم في صلاة الساعة السادسة، لكي نفرح به . نبتهج بهذه الكفارة التي حملت جميع خطايانا ومسحتها بالدم الكريم . واشترانا الرب بدمه ، فصرنا له. صولحنا معه .

٣ – هناك فرح روحي آخر ، وهو الفرح بالتوبة وبالتخلص من الخطية .

فرح بالتخلص من خطية متكررة ، أو عادة مسيطرة . فرح إنسان أمكنه أن يعترف ، وأن ينال المغفرة . مثاله فرح الابن الضال بعودته إلى بيت أبيه (لو١٥) .

يقول داود النبي في مزمور التوبة "اسمعني سروراً وفرحاً، فتبتهج عظامي المنسحقة" "أردد لي بهجة خلاصك" (مز٥٠) .

حقاً كم يكون فرح إنسان حينما يتخلص من عادة كانت مسيطرة عليه ، أو من خطية كان يضعف أمامها وتتكرر في كل اعتراف. ما أكثر فرح إنسان تخلص من الإدمان مثلاً، أو من سيطرة الأفكار الشريرة أو الأحلام النجسة .

٤ – وما أعظم الإنتصار على النفس .

كما يقول الحكيم "مالك نفسه خير ممن يملك مدينة" (أم١٦: ٣٢) . إن الإنتصار على النفس أعمق بكثير من الإنتصار على الآخرين ، لن به يتحرر الإنسان من الداخل. إن الذي ينتقم لنفسه لا يفرح مثل الذي يستطيع أن يضبط نفسه ويحتمل . لذلك فرح داود النبي لما منعته أبيجايل الحكيمة عن أتيان الدماء والانتقام لنفسه (١صم٢٥: ٣٢، ٣٣) .

٥ – وهناك فرح برجوع الخطاة .

وهو ليس فقط فرحاً على الأرض ، إنما في السماء أيضاً "لأنه يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب" (لو١٥: ٧) . ولعلنا نرى في قصة رجوع الابن الضال ، أن الآب قد قال : ينبغي أن نفرح ونسر ، لأن ابني هذا كان ميتاً فعاش، وكان ضالاً فوجد (لو١٥:

٥، ٦) . وهكذا فعلت المرأة التى وجدت درهمها المفقود .. فرح لكل الأصدقاء .

ما أعظم الفرح بالبحث عن الخطاة وردهم .

هناك أشخاص عملهم هو هذا . كما قال القديس بولس الرسول "..وأعطانا خدمة المصالحة .. واضعاً فينا كلمة المصالحة . إذن نسعى كسفراء عن المسيح، كأن الله يعظ بنا. نطلب عن المسيح: تصالحوا مع الله" (٢كو٥: ١٨- ٢٠) .

نفرح كلما نجد إنساناً قد اصطلح مع الله .. إذن الخدمة بالإضافة إلى مكافأتها فى السماء، لها فرح أيضاً على الأرض. وكما يقول الكتاب "من رد خاطئاً عن ضلال طريقه، يخلص نفساً من الموت، ويستر كثرة من الخطايا" (يع٥: ٢٠) .

ما أعمق فرح الذى يخلص نفساً من الموت . الفرح بإنسان ارتد عن الإيمان وأعدته . أو الفرح بإنسانة سقطت وضاعت ثم رجعت مرة أخرى .

٦ – إن كل عمل خير تعمله ، له فرحته :

فى الأرض وفى السماء . تفرح حينما تنقذ إنساناً مسكيناً، أو تفرح قلب عائلة فقيرة، أو تريح إنساناً من تعبه. تشعر بفرح داخلى، لأنك أفرحت قلوباً منكسرة، أو أنصفت شخصاً مظلوماً. بل تشعر بهذا الفرح حتى من جهة غير البشر، كما قال أحد الأدباء "سقيت شجيرة كوب ماء. فلم تقدم لى عبارة شكر واحدة. ولكنها انتعشت، فانتعشت" .

الأم تشعر بفرح، حينما تفرح إبنها. وتفرح حينما تشبع رضيعها ، وتفرح بنجاح أبنائها فى حياتهم ...

هذا هو الفرح بإسعاد الآخرين .

إن الذى يدفع العشور وهو متضرر، لا يشعر بهذا الفرح . وقد يدفع، ولكن ماله لا يصل إلى الله لأن "المعطى المسرور يحبه الله" (٢كو٩: ٧) ، أى أنه يعطى، وفى قلبه فرح بهذا العطاء .. ليتك تختبر فرح العطاء ...

والعطاء الروحى له فرح أيضاً نجده فى فرح الآباء والمرشدين .

٧ – فرح الآباء والمرشدين الروحيين :

إن القديس يوحنا الحبيب يقول فى رسالته إلى غايس "أيها الحبيب فى كل شئ أروم أن تكون ناجحاً وصحيحاً، كما أن نفسك ناجحة .. ليس لى فرح أعظم من هذا، أن أسمع عن أولادى أنهم يسلكون بالحق" (٣يو٢، ٤) ... إن هذا جزء من افراح الخدمة والرعاية. ولذلك يقول القديس بولس الرسول "اطيعوا مرشديكم واخضعوا، لأنهم يسهرون لأجل

نفوسكم كأنهم سوف يعطون حساباً . لكى يفعلوا ذلك بفرح – غير آنين – لأن هذا غير نافع لكم" (عب١٣: ١٧) .

يفرح المرشد الروحى بنجاح أولاده روحياً . يفرح من أجلهم، وأيضاً من أجل نفسه، من أجل أدائه لرسالته التى أتت بنتيجة ...

أما الابن الذى لا يطيع ، أو يدخل فى مجادلات عقيمة مع مرشده ولا ينفذ ، فإنه يسبب لهذا الأب والمرشد ألماً . إن الذى يطيع ويقبل الكلمة ، ويأتى بثمر ، يذكرنا بقصة الخصى الحبشى الذى استمع لفيلبس وآمن واعتمد "ومضى فى طريقه فرحاً " (أع٨: ٣٩).

ليتنا نفرح بأفراح الناس ، ولا ننسى مجاملاتهم فى أفراحهم ، بمشاركة قلبية فى ذلك الفرح . إن الطفل يشعر بفرح كبير حينما يجد مجموعة كبيرة حوله تفرح بعيد ميلاده، وتغنى له أنشودة .. وكذلك الكبار أيضاً يفرحون بمن يهنئهم فى مناسباتهم المبهجة .

يذكرنا هذا بذبيحة السلامة .

كان يأكل منها مقدمها وأحباؤه أيضاً ، وهو فرح بعمل الرب معه ويقر بها لأجل الشكر (لا٧: ١٢، ١٩) . ويذكرنى هذا بالذين كانوا يخبزون (فطير الملاك) ويوزعونه، يأكل منه أصدقاؤهم فرحين معهم بمعجزة أجراها الملاك معهم .. إن الفرح بفرح الآخرين يشعرنا أننا كلنا أسرة واحدة .

١١ – درجة عالية من الفرح ، أن نفرح بالتجارب واثقين من بركاتها وأكاليلها .

كما قال القديس يعقوب الرسول "أحسبوه كل فرح يا أخوتى حينما تقعون فى تجارب متنوعة" (يع١: ٢) .

لسنا فقط نحتملها ، إنما أيضاً نفرح بها، نفرح بالصليب، وبالباب الضيق، وبكل الآلام والاضطهادات . نفرح بالرب "وشركة آلامه" (فى٣: ١٠). واثقين أننا "إن كنا نتألم معه، فلكى نتمجد معه أيضاً" (رو٨: ١٧). وبالإيمان نرى أن "كل الأشياء تعمل معاً للخير" (رو٨: ٢٨) . لا ننظر إلى الألم الموجود، إنما ننظر فى رجاء إلى عمل الرب المقبل. لذلك قال الرسول :

١٢ – "فرحين فى الرجاء" (رو١٢: ١٢) .

الرجاء يعطى أملاً فى مستقبل مشرق . وهذا الأمل مصدره الإيمان بتدخل الله وعمله. ونتيجة ذلك يفرح القلب . كما يقول المرتل فى المزمور :

"ليفرح بك جميع المتكلين عليك" (مز٥: ١١) "لأن المتكل على الرب لا يخزى" . إنه

شاعر بفرح ، لأن الرب لابد سيفرحه ...

✠ ✠ ✠

إن أولاد الله يعيشون دائماً فى فرح .

لأن الفرح هو من ثمر الروح .

يقول الرسول "ثمر الروح محبة فرح سلام.." (غل٥: ٢٢) . فالإنسان الروحى لمحبته لله، ومحبة الله له، يشعر بفرح. أياً كانت الأمور، لابد أن الرب سيعمل ونفرح بعمله. بل أن الرب فعلاً يعمل، حتى إن كنا لا نرى عمله الآن . سنراه ولو بعد حين، فتفرح قلوبنا، ولا يستطيع أحد أن ينزع فرحنا منا .

على أن أولاد الله يفرحون دائماً بالرب ذاته ، وليس بمجرد عطاياه .

١٣ - الفرح بنجاح الخدمة :

إن المعمدان فرح كثيراً ببشارة السيد المسيح ونجاحها .

فقال "من له العروس فهو العريس. وأما صديق العريس الذى يقف ويسمعه، فيفرح فرحاً من أجل صوت العريس. إذن فرحى هذا قد كمل" (يو٣: ٢٩). لقد فرح لأنه سلّم العروس للعريس، حتى لو انتهت بذلك خدمته . هنا الفرح الروحى البعيد عن الإهتمام بالذات ...

أما الإنسان الأنانى فلا يفرح إلا بخدمته هو ، كأنه الوحيد الذى يخدم. ومن هنا قد يحدث التنافس والحسد بين الخدام، ولا يفرحون بعمل غيرهم ...

ولا يمكننا أن نتصور مقدار فرح الشعب حينما تم بناء هيكل زربابل بتعب كثير.. حتى أن الكتاب يقول أنهم "بكوا بصوت عظيم عند تأسيس هذا البيت أمام أعينهم. وكثيرون كانوا يرفعون أصواتهم بالهتاف بفرح. ولم يكن الشعب يميز هتاف الفرح من صوت بكاء الشعب" (عز٣: ١٢، ١٣). وكما يقول المرتل "الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالإبتهاج" (مز١٢٦) . إن الذين يخدمون فى حقل الرب ، يفرحون بثمار الخدمة، مهما كان تعبهم فيها، بل إن تعبهم يزيد من فرحهم . يقول الرسول :

"كحزانى ونحن دائماً فرحون" (٢كو٦: ١٠) .

فى نظر الناس من الخارج حزانى ، بسبب ما نبذله فى الخدمة من ألم وتعب. ولكننا فى الداخل فرحون. يقول القديس بولس أيضاً "أفرح فى آلامى لأجلكم" (كو١: ٢٤) .

١٤ - كل إنسان أيضاً يفرح بثمر عمله، ويفرح بعمل الرب معه .

وهكذا قيل فى المزمور "عظّم الرب الصنيع معنا، فصرنا فرحين" (مز١٢٦: ٣) .

وهنا نرى أيضاً أن الفرح يمتزج بالشكر .

اقرأ مزمور ١٠٣ تجده كله فرحاً بعمل الرب "باركى يا نفسى الرب، ولا تنسى كل إحساناته" . إن الذى يعمل مع الله، يفرح بعمل الله معه. وتفرح أن تعبك لم يكن باطلاً . وكما يقول الرب "يفرح الزارع والحاصد معاً" (يو ٤: ٣٦) .

١٥ – الإنسان الروحى يفرح لفرح غيره :

كما يقول الكتاب "فرحاً مع الفرحين" (رو١٢: ١٥) . إننا جسد واحد. إن تألم عضو، تتألم معه باقى الأعضاء. وإن فرح عضو، تفرح له ومعه باقى الأعضاء. المشاركة فى أفراح الناس فضيلة. قيل عن القديسة اليصابات العاقر لما ولدت ، إنه "سمع جيرانها واقرباؤها أن الرب عظّم رحمته لها ففرحوا معها" (لو١: ٥٨) .

إن الفرح بمجرد العطايا أمر له خطره . لأنه إن لم تأتِ عطايا الرب أو نعمه، ربما يتغير القلب من الداخل ، أو يتحول إلى حزن، أو يتذمر على الرب، ليس فقط لأنه لم يعطِ، بل حتى إن تأخر فى عطائه ...

لذلك فالروحيون لا يفرحون لمجرد العطية ، بل يفرحون بمعطيها . يفرحون بمحبة وحنو الله الذى يعطى . وهكذا يفرحون بالرب ...

إنهم يفرحون بالرب كأب يهتم بهم ويرعاهم ، ويعطيهم كل ما يحتاجون إليه ... ويفرحون بمحبته لهم التى يثقون بها تماماً، حتى إن لم يعطِ ، أو إن لم يروا عطاياه (على وجه أصح) لأن الله دائماً يعطى .

✠ ✠ ✠

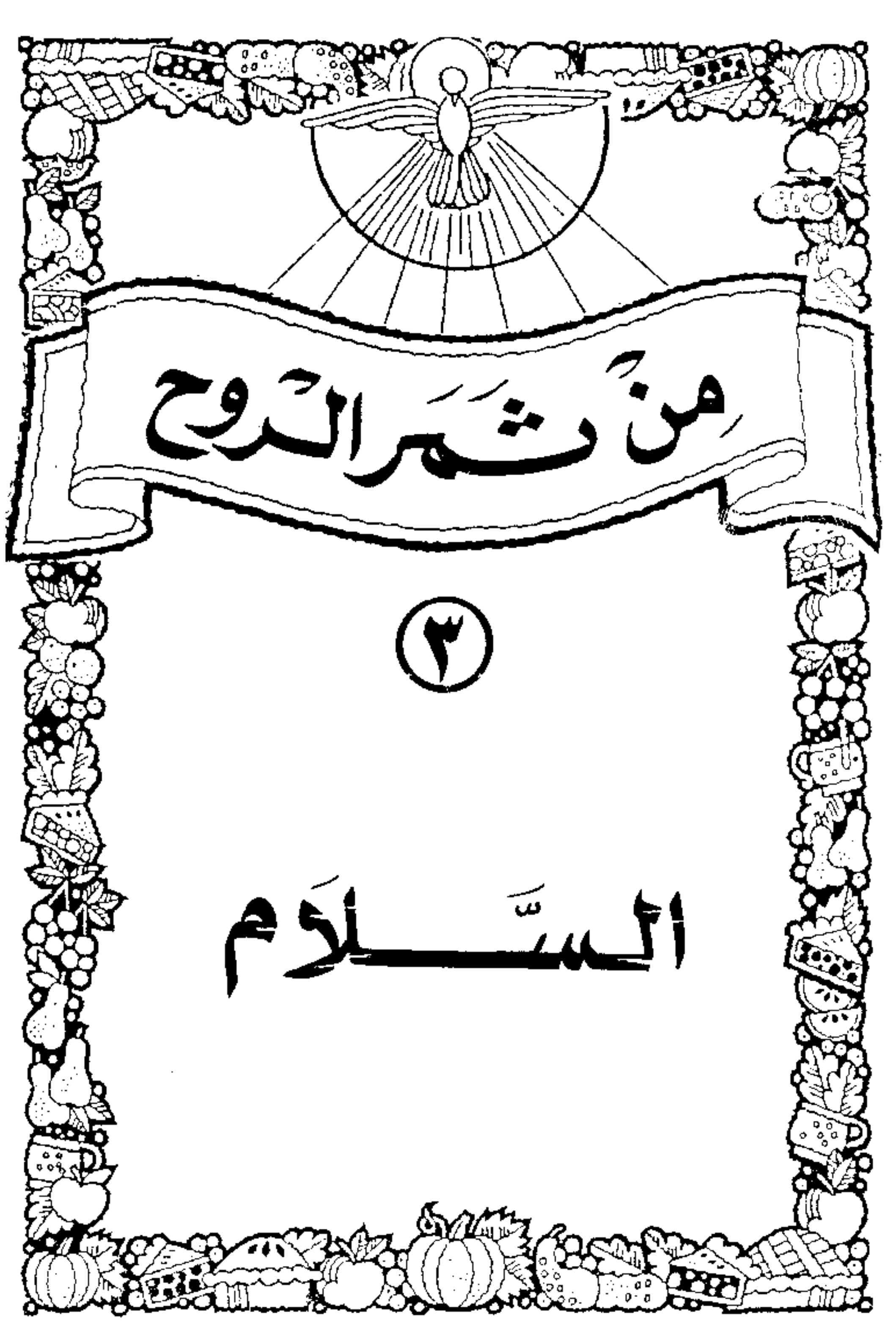
هنا ونسأل سؤالاً هاماً :

ماذا عن الموت ؟ هل هو سبب فرح ؟ أم هو سبب حزن أو خوف ؟

الموت هو سبب فرح روحى، للذين يثقون بمصيرهم بعد الموت. مثل القديس بولس الرسول الذى اشتهى الموت قائلاً "لى اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح، ذاك أفضل جداً" (فى١: ٢٣) . ومثل سمعان الشيخ الذى طلب الموت قائلاً "الآن يارب تطلق عبدك بسلام حسب قولك، لأن عينىّ قد أبصرتا خلاصك.." (لو١: ٣٠) .

أما الذين لم يستعدوا للموت ، ولم يستعدوا للقاء الرب ، فإنهم يخافون الموت، لأنهم يخافون ما بعد الموت . عدم استعدادهم يمنع الفرح بالموت .

الخطية عموماً تمنع الفرح الروحى .


مِنْ ثَمَرِ الرّوح
٣
السَّلام

هكذا قال القديس بولس الرسول "ثمر الروح : محبة فرح سلام" (غل٥: ٢٢) . وقد تحدثنا عن المحبة والفرح .. ونود أن نتحدث الآن عن السلام .

نذكر أولاً مقدمة عن أهمية السلام ، وعن استعماله في الكتاب وفي الصلوات وفي الحياة ...

ثم نتحدث عن ثلاثة عناصر هامة للسلام :

١ – سلام مع الله ، وسلام من الله .

٢ – سلام مع الناس .

٣ – سلام داخلي في القلب بين الإنسان ونفسه .

أهمية السلام :

السلام عنصر هام لحياة الناس . بدون لا يستقر مجتمع ، ولا يهدأ إنسان . والسلام هو شهوة الدول والشعوب حتى تعمل في هدوء . وبدونه يعيش العالم في شريعة الغاب .

والله يريد لنا السلام ، ويمنحنا إياه .

هو الذي قال لتلاميذه القديسين "سلامي أترك لكم. سلامي أنا أعطيكم.. لا تضطرب قلوبكم ولا تجزع" (يو١٤: ٢٧). ونحن نصلي هذا الفصل من الإنجيل في الساعة الثالثة من كل يوم، متذكرين هذا السلام، حتى لا تضطرب قلوبنا ولا تجزع .

والسلام هو الأنشودة التي غنى بها الملائكة يوم ميلاد السيد المسيح . فقالوا "المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام.." (لو٢: ١٤) .

وما أكثر ما يقول الأب الكاهن عبارة "السلام لجميعكم" .

يقولها في بدء كل صلاة طقسية ، وفي بدء الأواشي، ومرات عديدة جداً في كل قداس. إنه يصلي أن يكون السلام في قلوب الجميع، لأنهم إن فقدوا سلامهم، فقدوا

العنصر الأساسى لحياتهم ولتعاملهم مع الآخرين ...

والسلام هو التحية التى يتبادلها الناس كل يوم . وهى التى صدرت من الرب ومن الملائكة ...

عند ملاقاة الرب للمريمتين بعد القيامة ، قال لها سلام لكما (مت٢٨: ٩) . وعندما دخل العلية على التلاميذ قال لهم سلام لكم (يو٢٠: ١٩) . بل أن هذه العبارات تكررت فى هذا الإصحاح من إنجيل يوحنا ثلاث مرات (أنظر أيضاً لو٢٤: ٣٦) .

وفى إرسال الرب لتلاميذه قال لهم : وأى بيت دخلتموه ، فقولوا سلام لأهل هذا البيت. فإن كان ابناً للسلام ، يحل سلامكم عليه (لو١٠: ٥، ٦) .

القديسة العذراء عندما زارت القديسة أليصابات بدأتها بالسلام "فلما سمعت اليصابات سلام مريم، ارتكض الجنين فى بطنها، وامتلأت اليصابات من الروح القدس" (لو١: ٤١) ترى ما قوة ذلك السلام !!

والملاك جبرائيل فى تبشيره للعذراء بميلاد المسيح، قال لها "السلام لك أيتها الممتلئة نعمة، الرب معك" (لو١: ٢٨) .

ونرى أن الآباء الرسل يبدأون رسائلهم بالسلام. فيقولون "نعمة لكم وسلام" (رو١: ٧) (١كو١: ٢) (٢كو١: ٢) (غل١: ٣) (أف١: ٢) ... وفى خلال الرسائل يقولون : سلموا على .. يسلّم عليكم ..." (أنظر رو١٦) (٣يو١٥) .

ومن أهمية السلام أنه وضع فى مقدمة ثمر الروح، إذ قيل "ثمر الروح : محبة فرح سلام" (غل٥: ٢٢) .

وقيل فى المعاملات "ثمر البر يزرع فى السلام من الذين يعملون السلام" (يع٣: ١٨).

وكما كان بدء اللقاءات بالسلام، كذلك أيضاً كانت تنتهى . كما قال أليشع النبى لنعمان السريانى "إمضِ بسلام" (٢مل٥: ١٩) . كذلك قال السيد المسيح للمرأة الخاطئة "اذهبى بسلام" (لو٧: ٥٠) .

سلام مع الله

حينما خُلق الإنسان، كان فى سلام مع الله.

ولكن بالخطية ، فقد الإنسان سلامه مع الله .

هكذا حدث مع آدم (تك٣) ومع قايين (تك٤) . وهكذا حدث مع كل الأشرار فى العالم عبر الأجيال . لأن الخطية هى انفصال عن الله (لو١٥: ١٣) . وهى أيضاً عداوة لله (يع٤: ٤) (١يو٢: ٥) . لذلك قيل :

"**لا سلام قال الرب للأشرار**" (أش٤٨: ٢٢) .

وقد تكرر نفس المعنى (أش٥٧: ٢١)، فى نفس السفر . فالأشرار يفقدون سلامهم مع الله، هنا على الأرض. وأيضاً فى آخر الزمان، فى مجئ الرب. وفى ذلك يقول القديس بولس الرسول "مخيف هو الوقوع فى يدىّ الله الحى" (عب١٠: ٣١) . ولكن كيف تكون إذن المصالحة مع الله؟ (٢كو٥: ٢٠) .

غير المؤمنين يصطلحون مع الله بالإيمان . والخطاة يصطلحون مع الله بالتوبة .

فعن الإيمان قال الكتاب "إذ قد تبررنا بالإيمان، لنا سلام مع الله" (رو٥: ١) . هذا السلام كان نتيجة للدم الذكى الذى سفكه المصلوب لأجلنا "لأنه هو سلامنا.. الذى نقض الحائط المتوسط" (أف٢: ١٤) ... هو صنع السلام بين السماء والأرض .

أما عن التوبة ، فيقول الله - تبارك إسمه- "ارجعوا إلىّ، أرجع إليكم" (ملا٣: ٧) . ويقول القديس يوحنا الحبيب "إن لم تلمنا قلوبنا، فلنا ثقة من نحو الله" (١يو٣: ٢١) . وقال القديس أغسطينوس فى كتاب اعترافاته للرب "ستظل قلوبنا مضطربة، إلى أن تجد راحتها فيك" .

سـلام من اللـه

السلام الحقيقى هو من الله ، هذا الذى قيل عنه فى المزمور "الله يبارك شعبه بالسلام" (مز٢٩: ١١) . وعن هذا السلام ، قال الرسول

"**سلام الله الذى يفوق كل عقل، يحفظ قلوبكم وافكاركم**" (فى٤: ٧) .

الله هو مصدر السلام ، ورئيس السلام ، وملك السلام . ونحن نقول له فى لحن (إبـ أورو) يا ملك السلام، أعطنا سلامك، قرر لنا سلامك.." . وأول أوشية هى (أوشية السلامة)، نطلب فيها من الله سلاماً للكنيسة وكل الشعب .

سلام الله يحفظنا من الشيطان ، ومن الخوف والقلق .. فليتنا نتذكر وعود الله لنا .

إنك تجد سلاماً داخل قلبك، إن تذكرت قول الرب "هوذا على كفى نقشتك" (أش٤٩:

١٦). وايضاً قوله "أما أنتم، فحتى شعور رؤسكم جميعها محصاة" (مت١٠: ٣٠) . "تكونون مبغضين من الجميع لأجل إسمي. ولكن شعرة من رؤوسكم لا تهلك" (لو٢١: ١٨) . "لأنه لا تسقط شعرة من رأس واحد منكم" (أع٢٧: ٣٤) .

مما يجلب السلام أيضاً مزامير عن حفظ الله لك .

مثل المزمور (١٢٠) : "الرب يحفظك. الرب يظلل على يدك اليمنى. فلا تضربك الشمس بالنهار، ولا القمر بالليل.. الرب يحفظك من كل سوء. الرب يحفظ دخولك وخروجك" .

أو المزمور (١٢٣) : "نجت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين. الفخ انكسر ونحن نجونا. عوننا من عند الرب الذى صنع السماء والأرض " .

أو المزمور (٩١) "الساكن فى ستر العلىّ، فى ظل القدير يبيت . لا تخشَ من خوف الليل، ولا من سهم يطير بالنهار" "يسقط عن يسارك ألوف، وعن يمينك ربوات. أما أنت فلا يقتربون إليك" .

وما أكثر وعود الله فى المزامير التى تجلب السلام، لذلك قلنا :

احفظوا المزامير ، تحفظكم المزامير .

تكلمنا عن السلام الذى من الله ، لأن هناك ألواناً أخرى من السلام الزائف ، ليست من الله !

سلام زائف

مثاله السلام الزائف الذى كان يوحى به الأنبياء الكذبة قبل السبى، حتى لا يتوب الناس خائفين من غضب الله الآتى . وهكذا قال الرب فى سفر حزقيال النبى "أضلوا شعبى قائلين سلام، ولا سلام" (حز١٣: ١٠) . وكما ورد أيضاً فى سفر أرمياء النبى "قائلين سلام سلام، ولا سلام" (أر٦: ١٤) .

إنه لون من الخداع ، فيه تخدير للأعصاب وللضمير .

تماماً مثلما خدع الشيطان أبوينا الأولين قائلاً "لن تموتا. بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه، تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر" (تك٣: ٤، ٥) .

وكأى شخص يدعو إنساناً للإشتراك معه فى خطية ما، ويشعره بأنه سوف لا يصيبه من ذلك أى أذى، بل سيمر الأمر بسلام !! ... سواء كان ذلك فى سرقة أو رشوة أو زنى

أو غش ..

وقد يأتى مثل هذا السلام الزائف من ثقة الشخص واعتداده بنفسه ، وظنه أنه سيفعل كل ما يريد، وتمرّ كل تدبيراته الخاطئة فى سلام ! كالقاتل الذى يثق بنفسه أنه سيرتكب جريمته بكل حرص دون أن يترك أثراً، ويمر ذلك بسلام .

كله سلام زائف يصوّره الإنسان لنفسه، أو يصورّه له الشيطان أو شركاء السوء أو المحرضون .

ننتقل إلى بند آخر وهو السلام مع الناس :

سلام مع الناس

فيه يسلّم الناس بعضهم على البعض ، ليس فقط بالأيدى، وإنما بالقلب والنية أيضاً . ويقولون كلمة سلام من عمق قلوبهم ويقصدونها .

وإن كانت بينهم خصومة من قبل ، يتصالحون ...

وعن هذا قال السيد فى عظته على الجبل :

"إذا ما قدمت قربانك إلى المذبح . وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك، فاترك هناك قربانك قدام المذبح. واذهب أولاً اصطلح مع أخيك" (مت٥: ٢٣، ٢٤). وفى هذا تشترط الكنيسة الصلح قبل التناول ...

وفى القداس الإلهى نصلى صلاة الصلح قبل قداس القديسين ، وقبل سيامات الإكليروس ...

ولأنه قد يبدو من الصعب أن تصطلح مع كثير من الأعداء والمقاومين ، لذلك قال الرسول :

"**إن كان ممكناً، فحسب طاقتكم ، سالموا جميع الناس**" (رو١٢: ١٨) .

ذلك لأن البعض لا يمكنك مسالمتهم، إلا إذا اشتركت فى الخطأ معهم، أو بسبب شراسة طباعهم، أو لأنهم يحسدونك بسبب نجاحك، أو بسبب تدابير معينة يدبرونها، أو لأن سلوكك الطيب يكشف أخطاءهم، أو لأى سبب آخر ..

لهذا حسب طاقتك ، إن كان ممكناً لك، سالم جميع الناس . وإلا فعليك بالآتى :

★ **لا تجعل الخلاف يأتى بسببك .**

كن مصلوباً لا صالباً . قد يعاكسك الغير. ولكن لا تبدأ أنت بالشر . ثم لا تكن حساساً جداً من جهة أخطاء الآخرين .

★كن واسع الصدر حليماً .

اذكر ما قيل عن موسى النبى "وكان الرجل موسى حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض" (عد١٢: ٣) .

حاول باستمرار أن تحتمل وأن تغفر .

وكما قال الرسول "لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء" لا تجازوا أحداً عن شر بشر" (رو١٢: ١٩، ١٧) . إبعد عن الغضب وعن الإستثارة والإنفعال وكما قال الرسول :

"لا يغلبنك الشر، بل اغلب الشر بالخير" (رو١٢: ٢١) .

واعرف أن الذى يحتمل هو الأقوى . أما الذى لا يستطيع أن يحتمل، فهو الضعيف . لذلك قال الرسول "يجب علينا نحن الأقوياء، أن نحتمل ضعفات الضعفاء، ولا نرضى أنفسنا" (رو١٥: ١) .

★لا تطالب الناس بمثاليات . وإنما إقبلهم كما هم ، بواقعهم ، وليس كما ينبغى أن يكونوا .

إننا نقبل الطبيعة كما هى : الفصل المطير ، والفصل العاصف ، والفصل الحار ، دون أن نطلب من الطبيعة أن تتغير . فلتكن هكذا معاملتنا لمن نقابلهم من الناس. ليسوا كلهم ابراراً طيبين . كثير منهم لهم ضعفات ، ولهم طباع تسيطر عليهم . إنهم عينات مختلفة، وبعضها مثيرة. فلتأخذ منهم موقف المتفرج، وليس موقف المنفعل. وعاملهم حسب طبيعتهم ، بحكمة .

★بالوداعة والتواضع يمكن مسالمة الكثيرين .

إن قيل إنه بالروح الرياضية يمكن أن تكسب الكثيرين وتسالمهم ، فكم بالأكثر بالوداعة والإتضاع .. وإن كنت فى مجال الدفاع عن الحق، فافعل ذلك بهدوء وباتضاع . لك أن تحب الحق ، وأن تدافع عن الحق، ولكن ليس لك أن ترغم الناس على السير فيه . إن الله نفسه أعطانا وصايا، ولم يرغمنا على طاعتها .

الأستثناء الوحيد فى موضوع المسالمة ، هو معاملة الهراطقة والمبتدعين وفاسدى الخلق .

نحن لا نستطيع أن نجامل المبتدعين والهراطقة على حساب التفريط فى الإيمان . فقد قال القديس يوحنا الحبيب "إن كان أحد يأتيكم ولا يجئ بهذا الإيمان، فلا تقبلوه فى البيت، ولا تقولوا له سلام. لأن من يسلم عليه يشترك فى أعماله الشريرة" (٢يو١٠: ١١) .

إن أراد أحد أن يبعدك عن الإيمان، فاحترس منه ولا تجامله ، ولا تقبله فى البيت .

بنفس الوضع يمكن أن تبتعد عمن يحاول أن يفسد خلقك ويقودك إلى الخطية .

واذكر قول الكتاب " لا تضلوا، فإن المعاشرات الردية تفسد الأخلاق الجيدة" (١كو١٥: ٣٣) . وأيضاً ما قيل فى المزمور الأول "طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار. وفى طريق الخطاة لم يقف. وفى مجلس المستهزئين لم يجلس" (مز١) .



وفي السلام الداخلي : الإطمئنان وعدم الخوف

الخوف

إن عدم وجود السلام القلبي يسبب الخوف . بل يسبب أيضاً القلق والإضطراب والانزعاج.. ومتاعب نفسية كثيرة ...

انظروا إلى إنسان يملك السلام قلبه، مثل داود النبي. نراه يقول في مزاميره "إن يحاربني جيش، فلن يخاف قلبي. وإن قام عليّ قتال. ففي هذا أنا مطمئن" (مز٢٧).

وأيضاً إن سرت في وادي ظل الموت، فلا أخاف شراً، لأنك أنت معي" (مز٢٣).

الجيش كله خاف من ملاقاة جليات ، لكن داود لم يخف .

كان قلبه مثل قلب أسد . مع أنه كان شاباً صغيراً، وأخوته الأكبر منه كانوا خائفين.." والملك شاول نفسه قال له "لا تستطيع أن تذهب لتحاربه، لأنك غلام وهو رجل حرب منذ صباه" (١صم١٧: ٣٣) .

ولكن داود القوي القلب قال للملك "لا يسقط قلب أحد بسببه.. عبدك يذهب ويحاربه " وحكى كيف أنه في صباه كان يرعى غنمه، فجاء أسد مع دب ، وأخذا شاه من القطيع" ولم يخف داود من كليهما، بل خرج وراء الأسد ، وأنقذ الشاة من فمه. وقتل الأسد والدب جميعاً" (١صم١٧: ٣٤- ٣٦) .

وعدم خوف داود من جليات الجبار، كان مرتكزاً على عمل الرب .

قال داود "الحرب للرب" وليس الخلاف بسيف أو برمح.. وقال للجبار "أنت تأتي إليّ بسيف ورمح وبترس، وأنا آتي إليك باسم رب الجنود" "في هذا اليوم يحبسك الرب في يدي" .. إنها ثقة قوية بعمل الرب ورعايته . لذلك لم يخف مطلقاً، وبإيمانه ادخل إسم الله إلى ساحة الحرب .. الله الذي هو أقوى من جليات الجبار، ومن كل جبابرة الأرض،

لذلك قال عن جليات "لا يسقط قلب أحد بسببه" (١صم١٧: ٣٢) ...

وهكذا الذى يملك السلام قلبه، ليس فقط يكون مطمئناً، بل أيضاً يشيع الإطمئنان فى القلوب.

فكمثال داود ، كان موسى واليشع : كل منهما فى سلامه واطمئنانه ، كان يبعث نفس الإطمئنان فى قلوب غيره .

جيش الأعداء كان يحيط بالسامرة، وكان اليشع النبى مطمئناً . أمام تلميذه جيحزى فكان خائفاً، لأنه لم يكن يبصر المعونة الإلهية المحيطة بالمدينة . لذلك قال أليشع لتلميذه جيحزى "لا تخف لأن الذين معنا أكثر من الذين علينا" (٢مل٦: ١٦) . وصلى إلى الله لكى يفتح عينى الغلام فيرى ...

والشعب أمام البحر الأحمر من ناحية ، وفرعون من ناحية أخرى. خافوا إذ رأوا الموت يهددهم، ولم يكن لهم الإيمان الذى يرون به خلاص الرب . أما موسى فلم يخف . بل قال للشعب "لا تخافوا. قفوا وأنظروا خلاص الرب .. الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون" (خر١٤: ١٣، ١٤).

بالإيمان نرى معونة الله وخلاصه . فلا نخاف .

بطرس الرسول وهو ماش مع الرب على الماء ، لما نظر إلى الأمواج "ولما رأى الريح شديدة خاف وابتدأ يغرق" (مت١٤: ٣٠) وسبب ذلك أنه كان ينظر إلى الموج ، وليس إلى المسيح الذى يمسك بيده وينجيه . لذلك وبخه السيد على عدم إيمانه وقال له "يا قليل الإيمان، لماذا شككت" (مت١٤: ٣١) .

إن الله دائماً يدعونا إلى عدم الخوف .

إنه يقول "لا تخافوا . لا تضطرب قلوبكم ولا تجزع" "سلامى أترك لكم.. سلامى أنا أعطيكم" (يو١٤: ٢٧). وكان الله دائماً يقوى أولاده، ويدعوهم إلى عدم الخوف.. لما أحس يشوع بالضعف بعد موت موسى النبى، قال له الرب "كما كنت مع موسى النبى أكون معك، لا أهملك ولا أتركك" "تشدد وتشجع. لا تهرب ولا ترتعب، لأن الرب إلهك معك حيثما تذهب" بل قال له أكثر من هذا "لا يقف إنسان فى وجهك كل أيام حياتك" (يش١: ٥- ٩) .

وما أجمل العبارة المعزية التى قالها لبولس الرسول فى رؤياه "لا تخف، بل تكلم ولا تسكت، لأنى أنا معك، ولا يقع بك أحد ليؤذيك" (أع١٨: ٩، ١٠). وعندما كان يعقوب أبو الآباء خائفاً من أخيه عيسو، ظهر له الرب فى رؤياه وعزاه. وقال له "ها أنا معك،

وأحفظك حيثما تذهب، وأردك إلى هذه الأرض" (تك٢٨: ١٥) .

إن الخوف دخيل على الطبيعة البشرية، لم يدخل إلى النفس إلا بعد الخطية .

كان آدم يعيش مع الوحوش ، مع الأسود والنمور والفهود ، ومع الثعابين والدبيب ، وما كان يخاف ، وكذلك كان أبونا نوح فى الفلك مع كل هذه الوحوش، وكان يعتنى بها ويطعمها ، وما كان يخاف .

آدم لما أخطأ بدأ يخاف . واختبأ خلف الشجر، وقال للرب "سمعت صوتك فى الجنة فخشيت، لأنى عريان فاختبأت" (تك٣: ١٠) .

وكما خاف آدم بعد الخطية ، كذلك خاف قايين .

وقال للرب "ذنبى أعظم من أن يحتمل . ها قد طردتنى اليوم عن وجه الأرض، ومن وجهك أختفى . وأكون تائهاً وهارباً فى الأرض. فيكون كل من وجدنى يقتلنى" (تك٤: ١٣، ١٤) . وقضى قايين بقية أيامه فى رعب، فاقداً لسلامه الداخلى .

الخطية تشعر الإنسان بأنه انفصل عن الله مصدر القوة والحماية ، فيخاف ...

يخاف من الخطية وانكشافها وفضيحتها أمام الناس ، ويخاف من نتائج الخطية ، ومن عقوبة المجتمع أو القانون ، ويخاف من الله نفسه ودينونته ، ويخاف من ضعفه أمام الخطية، ومن الشيطان الذى انتصر عليه .

فإذا حصل الإنسان على مغفرة الله وستره ، فلا يخاف ، وإن آمن بمعونة الله له فى ضعفه ، فلن يخاف لأن مجرد شعوره أن الله معه، ينزع الخوف من قلبه .

الإنسان الخائف ، ينظر إلى سبب الخوف وليس إلى الله الذى ينجيه منه .

أسباب الخوف

ما أكثر اسباب الخوف ، وهى نابعة من داخل الإنسان .

البعض يخاف من كلام الناس ، ومن بطشهم ، ومن مؤامراتهم .

والبعض يخاف من حسد الناس .

وطالما هو يؤمن بالعين الحاسدة وأثرها السئ، سيظل خوفه مستمراً . وليس مصدر خوفه هو قوة عين الحسود، إنما السبب يكمن فى ضعف قلبه الذى يؤمن بالحسد .

وقد يخشى أحدهم من الناس الأشرار ، ولا يضع فى قلبه معونة الله .

كان ارميا يخاف من الناس . أما الرب فقال له "لا تخف من وجوههم ، لأنى أنا معك – يقول الرب – لأنقذك .. هأنذا قد جعلتك اليوم مدينة حصينة وعمود حديد واسوار نحاس على كل الأرض .. فيحاربونك ولا يقدرون عليك ، لأنى أنا معك لأنقذك" (أر ١: ٨، ١٨، ١٩) .

وقد يخاف إنسان من قوم ، وهم لا يفكرون مطلقاً فى إيذائه .

مثلما كان شاول الملك يخاف داود ، ويطارده فى كل مكان ليقتله . بينما لم يفكر داود إطلاقاً فى أن يؤذى شاول حتى عندما وقع فى يده، وكان بإمكانه أن يقتله ونصحه اتباعه بذلك .. قال داود "حاشا لى أن افعل هذا الأمر بسيدى مسيح الرب ، فأمد يدى إليه، لأنه مسيح الرب هو. ووبخ داود رجاله، ولم يدعهم يقومون على شاول" (١صم٢٤: ٦، ٧).. وقال للملك لما استيقظ "وراء من خرج ملك إسرائيل؟! وراء من أنت مطارد؟! وراء كلب ميت؟! وراء برغوث" .. وكانت النتيجة أن شاول الملك رفع صوته وبكى وقال لداود "أنت أبر منى" (١صم٢٤: ١٤، ١٦) .

كان يخاف من وهم . من شئ غير موجود ، كخوف الأطفال .

الطفل يخاف من أوهام. من أمور يتصورها قلبه الخائف، ويخترعها فكره الخائف، مثل أن يخاف من الظلام.. وليس وراء الظلام ما يخيف.. أو يخاف من (حرامى) غير موجود.. أو يخاف من (عفريت) وليس هناك عفاريت.. إنها أوهام يخترعها القلب الخائف .

أو يخاف الطفل من وجوده وحده ، وعدم وجود أحد إلى جواره يحميه من أى خطر غير معروف . ويصرخ الطفل ويبكى بلا سبب إلا الخوف .

وتستمر مخاوف الطفولة عند البعض وهم كبار .

يخاف من امتحان ، ربما يكون صعباً والأسئلة معقدة ، أو من التصحيح وقد يكون قاسياً .. وإن نجح وقدم على الوظيفة وطلبوه للمقابلة يخاف من الـ Interview ، فربما يفشل فيه ...

وقد تخاف فتاة من لقاء عريس جاء لخطبتها .

ربما لا تعجبه ربما يذهب ولا يعود . وربما تخاف مما يقوله الناس بعدئذ .. وتخاف من لقاء عريس آخر، لئلا يذهب كما فعل سابقه وتستمر المخاوف ...

وقد يخاف الإنسان من الفشل .

فإن قام بأى مشروع يخاف أن يفشل ، يخاف أن تقف أمامه معوقات ، أو مؤامرات من المنافسين ، أو خيانة وسرقات من الشركاء .

إن كان فقيراً ، يخاف من العوز ، وإن كان غنياً يخاف من السرقة ، وعلى أية الحالات يخاف ...

وإنسان يخاف من المخاطر .

إن ركب طائرة يخاف أن تحدث لها كارثة، ويتذكر كل كوارث الطائرات وما نشر عنها في الصحف.. وفى كل طرق المواصلات، يخاف من الحوادث، لا يضع أمامه النقط البيضاء .. إنما كل سجل النقط السوداء حاضر في ذهنه ، فكره هو الذى ينميه ويخيفه .

وإنسان آخر يخاف من نفسه :

يخاف من عجزه ، من عدم قدرته ، من نسيانه ، من ضعفه أمام قوة منافسيه وخصومه .. يخاف من عدم قدرته على الإستمرار، لذلك يفقد الثقة بالنفس ، ويفقد روح الجرأة والإقدام ، ويفقد القوة على البدء بأية مبادرة. صورة العجز والفشل ماثلة أمامه باستمرار .. إنه يخاف حتى من الخطية وعجزه عن مقاومتها .

الخوف يسبب له الإضطراب والقلق والإنزعاج ، بل الخوف يشل تفكيره عن العمل .

ويكون له تأثيره على نفسه وعلى أعصابه.. ويظهر الخوف فى ملامحه ، فى نظراته، فى لهجة صوته، في حركات جسده . بل قد يرتعش ويصفر وجهه . ويخفق قلبه، ويكون مكشوفاً أمام الكل أنه خائف ... وقد يظهر الخوف فى تصرفاته، فى تردده، وعدم قدرته على إتخاذ قرار، وفى بحثه عن حماية ...

والبعض قد يقوده الخوف إلى الإنطواء ، وإلى تكرار عبارة "يكون كل من وجدنى يقتلنى" (تك٤: ١٤) .

أما الإنسان الروحى فلا يخاف ، بل يملك السلام على قلبه ، وبالسلام الطمأنينة .

وقد يخاف إنسان من الموت :

أو يخاف من المرض الذى يؤدى إلى الموت .

وإذا أصيب بمرض تنهار معنوياته ، ويتصور اقصى ما يمكن أن يتطور إليه المرض، مثلما يفكر بعض الأطباء إذا مرضوا .. وقد يخاف البعض من العدوى، ويتخذ لتفاديها وسائل تخرج عن الحد المألوف .!

الذين لا يخافون

أما الإنسان الروحى ، الذى يملك السلام على قلبه ، فلا يخاف الموت .

لأن استعداده للموت بالحياة البارة ، ينزع خوف الموت من قلبه . بل على العكس يشتهى الموت، الذى ينقله إلى عشرة المسيح والملائكة والقديسين .

ويذكر قصص الشهداء وآباء البرية .

الشهداء الذين لم يخافوا الموت ولا التعذيب ولا التهديد ، ولا الولاة ولا المحاكمات ولا السجون . وكانوا يرتلون فى السجون، ويفرحون بلقاء الرب .. سيرة قلوبهم القوية ، تمنحك قوة فلا تخاف ، ويملك السلام على قلبك ...

كذلك آباء البرية ، الذين ما كانوا يخافون الوحدة فى البرارى .

بل يجدون فيها متعة روحية ، وما كانوا يخافون حروب الشياطين، ولا وحوش البرارى، ولا دبيب الأرض، وبعضهم كان يسكن أحياناً فى القبور، ولا يخاف . ومعروفة قصة ابا مقار الذى نام فى مقبرة وقد وضع جمجمة تحت رأسه، فتحدث معها الشياطين لكى يفزعوه، وبكلام هزء، حتى يفقد هدوء قلبه ... ولم يخف .

كونوا إذن أقوياء القلب ، وعيشوا فى سلام . لا تخافوا ، وليكن لكم سلام فى قلوبكم .

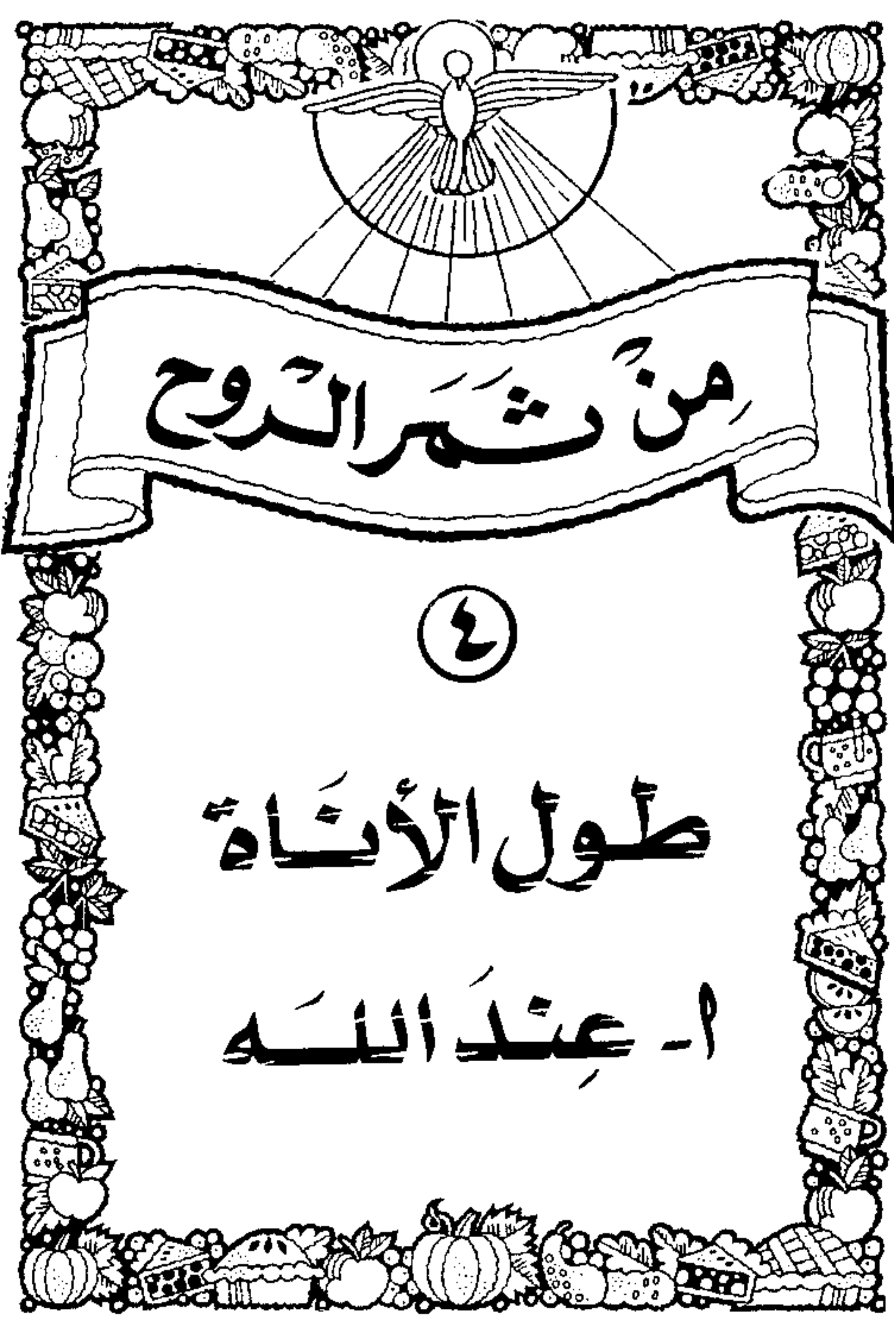
لكى يحتفظ الإنسان بسلامه واطمئنانه ، ينفعه أن يتذكر قوة الله الحافظة .

يؤمن بأن الله موجود، وأنه يعمل لأجله، كما يؤمن أن كل مشكلة لها حل، وأن الله عنده حلول كثيرة وغير المستطاع عند الناس، مستطاع عند الله، "وكل شئ مستطاع للمؤمن" (مر ٩: ٢٤) .

ولكى يحصل على السلام الداخلى، يتذكر أن ملاك الله حال حول خائفيه وينجيهم، وأننا محاطون بملائكة كثيرين لحفظنا. وفى الكتاب أمثلة عديدة لهذا . كذلك يتذكر عمل القديسين وصلواتهم من اجلنا وشفاعتهم فينا ، وأننا لسنا وحدنا . كذلك يتذكر عمل النعمة والروح القدس فينا .

وفى الإطمئنان ، لنحترس من الإطمئنان الزائف .

مثل مريض بسرطان خطير، يدخلون الإطمئنان إلى قلبه، بأن المرض مجرد كيس دهنى بسيط..! أو مثل إطمئنان مدير عام لعمل، يشعره موظفوه بأن كل شئ تمام! ويثق بذلك دون فحص ...


مِنْ ثَمَرِ الرُّوح
٤
طُولُ الأَنَاة
ا- عِنْدَ الله

هكذا قال القديس بولس الرسول "وأما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام طول أناة لطف.." (غل٥: ٢٢، ٢٣) . وهذه الفضائل ترتبط معاً . فالذى عنده محبة، بالضرورة يحيا فى فرح وسلام. والذى عنده محبة ، لابد أن يتصف بطول الأناة . وهكذا يقول الرسول أيضاً "المحبة تتأنى.." (١كو١٣: ٤) .

وطول الأناة ، توصف بأنها طول الروح ، وطول البال ، وسعة الصدر، والحلم، والصبر .

فالإنسان الطويل الأناة ، هو إنسان صبور حليم طويل البال. واسع الصدر ورحب القلب. وقيل فى ذلك عن سليمان الحكيم: "واعطى الله سليمان حكمة وفهماً كثيراً، ورحبة قلب كالرمل الذى على شاطئ البحر" (١مل ٤: ٢٩) . وقيل عن موسى النبى "وكان الرجل موسى حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض" (عد١٢: ٣) .

طول أناة الله

الله نفسه طويل الأناة طويل الروح .

لولا طول أناته علينا، لهلكنا جميعاً . وطول أناته تنبع من عمق رحمته وحنانه. وفى ذلك يقول داود النبى "الرب رحيم ورؤوف، طويل الروح وكثير الرحمة" (مز١٠٣: ٨). ويقول القديس بطرس الرسول "احسبوا أناة ربنا خلاصاً" (٢بط٣: ١٥) .

إنه يطيل أناته جداً فى معاملة الخطاة .

كم أطال أناته على الأمم – فى عبادتهم للأصنام – حتى تابوا أخيراً ورجعوا إليه .. أطال أناته على أهل نينوى، إلى أن صاموا منسحقين أمامه، فقبل توبتهم. وحزن يونان لأن الله لم يعاقبهم ! (يون٣، ٤) .

أطال أناته مثلاً على فرعون ، الذى وعد مراراً ولم يفِ .

كم صبر الله عليه في قسوته وإذلاله للناس . وصبر عليه فى الضربات ، ليس فى واحدة فقط، وإنما فى عشر ضربات ... فى كل ضربة ، كان يصرخ فرعون ويقول أخطأت (خر٩: ٢٧) (خر١٠: ١٦).. وكان يعد بالتوبة ويرجع.. والله يطيل أناته ...!

إن طول أناة الله، إنما تقتاد الخاطئ إلى التوبة . فإن لم يتب، يتعرض لعقوبة الله .

وهكذا ينذر القديس بولس الرسول فيقول للخاطئ "أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته، غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة. ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضباً فى يوم الغضب" (رو٢: ٤، ٥) .

فلا تظن إذا أخطأت كثيراً ولم تنلك عقوبة، أن عدل الله قد كفّ عن العمل .

بل ربما إن كأسك لم تمتلئ بعد .. كما قال الرب مرة "لأن ذنب الأموريين ليس إلى الآن كاملاً" (تك١٥: ١٦) .. كذلك لما اكتمل كأس سادوم ، حرقها الرب بنار" (تك١٩) .

الله يطيل أناته ، لأن هذه هى طبيعته .

وطول أناته إما تقتاد إلى التوبة ، أو إلى الدينونة .

ولعل من الأمثلة الجميلة لطول أناة الله، قصة تلك التينة التى ظلت ثلاث سنوات فى الكرم، دون أن تنتج ثمراً وجاءت فكرة قطعها بدلاً من أن تبطل الأرض. ولكن قيل :

"**اتركها هذه السنة أيضاً، حتى انقب حولها وأضع زبلاً**" .

"فإن صنعت ثمراً، وإلا ففيما بعد نقطعها" (لو١٣: ٦- ٩) . حقاً إن طول الأناة تعطى فرصة أخرى، فرصة لإصلاح الحالة .

لقد أطال الرب أناته على الشعب فى البرية ، على الرغم من أنه كان شعباً صلب الرقبة، كثير التذمر، كثير التقلب .. قال عنه الله "مددت يدى طول النهار، لشعب معاند مقاوم" (رو١٠: ٢١) . ومع ذلك أطال أناته عليه، وأبقى منه بقية قال عنها إشعياء النبى "لولا أن رب الجنود أبقى لنا بقية، لصرنا مثل سادوم وشابهنا عمورة" (أش١: ١٩) .

ومن أمثلة طول أناة الله معاملته لأهل السامرة .

فى مرة إحدى قرى السامرة أغلقت أبوابها فى وجهه ، لأن وجهه كان متجهاً نحو أورشليم. فقال له تلميذاه يعقوب ويوحنا أتشاء أن تنزل نار من السماء فتفنيهم. أما طول أناة الرب على السامرة فلم تفعل هذا . بل انتهر تلميذيه قائلاً : لستما تعلمان من أى روح

أنتما. لأن ابن الإنسان لم يأتِ ليهلك أنفس الناس ، بل ليخلص" (لو٩: ٥٢- ٥٦) . وجاء الوقت الذى خلصت فيه مدينة السامرة، وتعمدت وقبلت الروح القدس (أع٨: ١٤- ١٧) .

عجيبة هى طول أناة الله على مضطهدى الكنيسة .

ولعل فى مقدمتهم **شاول الطرسوسى** الذى قال عن نفسه "أنا الذى كنت قبلاً مجدفاً ومضطهداً ومفترياً. ولكنى رُحمت لأنى فعلت ذلك بجهل فى عدم إيمان" (١تى١: ١٣) . شاول هذا الذى "كان ينفث تهديداً وقتلاً على تلاميذ الرب.. حتى إذا وجد أناساً من الطريق رجالاً أو نساءً، يسوقهم موثقين إلى أورشليم" .. (أع٩: ١، ٢) . شاول هذا أطال الله أناته عليه ، حتى أصبح صعباً عليه أن يرفس مناخس. وظهر له فى الطريق إلى دمشق ودعاه إلى خدمته . وأصبح إناءً مختاراً له (أع٩: ٣- ١٦) ورسولاً للأمم، وتعب أكثر من جميع الرسل فى خدمة الله (١كو١٥: ١٠) .

يقيناً لو لم يطل الله أناته على شاول الطرسوسى، لفقدت الكنيسة هذا الإنسان الجبار فى خدمته ، بولس الرسول .

أطال الله أناته على **أريانوس والى أنصنا،** الذى كان قاسياً جداً وعنيفاً فى اضطهاد القديسين أيام ديوقلديانوس الملك، وعلى يديه استشهد كثيرون . وبطول أناة الله آمن أريانوس، بل وصار شهيداً ، تحتفل الكنيسة بذكراه ...

وأطال الله أناته على كثير من الخطاة .

أمثال أوغسطينوس ، ومريم القبطية ، وبيلاجية، وموسى الأسود، وكثيرين غيرهم، وبطول أناة الله تاب هؤلاء كلهم . بل صاروا أنواراً فى الكنيسة، يبعثون الرجاء فى قلب كل تائب. فاوغسطينوس صار أسقفاً، وأحد معلمي الكنيسة الكبار . وموسى الأسود صار من كبار آباء الرهبنة. ومريم القبطية توحدت وصارت من السواح .. تُرى لو لم يطل الله أناته على كل هؤلاء، أكانت نفوسهم تهلك؟! وتخسر الكنيسة كل بركاتهم ..!!

أيضاً أطال الله أناته على كثير من الملحدين والوثنيين .

أطال أناته على روسيا البلشفية ، حتى عاد أكثر من مائة مليون إلى الإيمان ، وكذلك رومانيا وكثير من بلاد الإتحاد السوفيتى، فآمن كل هؤلاء وفرحوا بالرب . وفى بدء المسيحية أطال أناته على كثير من فلاسفة الوثنية، حتى صاروا فلاسفة مسيحيين. بل أطال أناته على بعض السحرة ، فآمنوا ...

ومثال ذلك أثناسيوس الساحر الذى جهز سماً مميتاً تناوله القديس مارجرجس فلم يؤذه. وسيدراخس الساحر الذى جهز سماً للقديس أبا قسطور. فلم يؤذه أيضاً. فآمن كل من هذين الساحرين ، ونالا إكليل الشهادة . كان الله قد أطال أناته على كل منهما . إلى أن أتى الوقت الذى يشعر فيه كل منهما بأن هناك قوة أقوى من سحره فيؤمن ...

إن الله ليس فقط يطيل أناته على الخطاة حتى يتوبوا ، إنما أيضاً هو طويل الأناة من جهة تدبير الأوقات ...

إنه يختار الموعد الذى يراه مناسباً ليعمل فيه، ويدبر خططه الإلهية الحكيمة . ولعل من أمثلة ذلك **تدبير قضية الفداء ..**

لقد وعد أبوينا الأولين بأن نسل المرأة سيسحق رأس الحية (تك٣: ١٥). ومرّت آلاف السنين، والحية رافعة رأسها تسحق عقب الآلاف من البشر بل الملايين .. وبطول أناة عجيبة كان الرب ينتظر ملء الزمان الذى يتم فيه التجسد (غل٤: ٤) .

طول أناته انتظرت الوقت الذى توجد فيه العذراء القديسة التى تستحق هذا المجد وتحتمله، والوقت الذى يوجد فيه يوحنا المعمدان الذى يهيئ الطريق قدامه، وأيضاً الذى فيه يوجد الإثنا عشر الذين يحملون الرسالة من بعده. وتكون النبوءات كلها قد تمت مع باقى تفاصيل أخرى تجعل اختيار الوقت مناسباً ، وكله حكمة ...

إذن لا يحتج أحد ويقول : لماذا يارب قد تأخر عمل الفداء ؟!

كلا ، إنه لم يتأخر مطلقاً ، بل جاء فى نفس موعده الذى حدده الله من قديم الزمان. وكانت أناة الله تمهد لإعداد كل شئ. وتمهد أيضاً لفهم الناس وقبولهم . ولو كان الفداء قد تم منذ أيام آدم، ما كان أحد قد فهمه ولا قبله ولا آمن به ...

إننا نحاول أن نفهم الأزمنة بعقلنا القاصر . والرب يقول :

"**ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التى جعلها الآب فى سلطانه**" (أع١: ٧) .

ليس لنا أن نستعجل الله فى العمل، أو نقول له كما سبق وقال داود فى تعبه "اسرع إلى معونتى .. اسرع ولا تبطئ" (مز٧: ١، ٥) .. لا يا داود ، تأكد أن الله فى طريقه إليك، حتى قبل أن تطلب . وسوف تصل معونته فى أفضل وقت مناسب ...

أنظروا إلى قصة يوسف الصديق مثلاً :

ألقاه أخوته فى البئر، ولم يفعل الرب شيئاً لإنقاذه منهم . وباعوه كعبد ، ويبدو أن الله

لم يتحرك. ثم يُتهم يوسف ظلماً ويلقى به فى السجن، وتمر سنوات.. فهل كان الله قد أهمله وتركه؟! كلا . بل إن الله فى طول أناته ، يعدّ ويدبر الأوقات والمناسبات التى يحوّل فيها يوسف إلى وزير أو أمير .

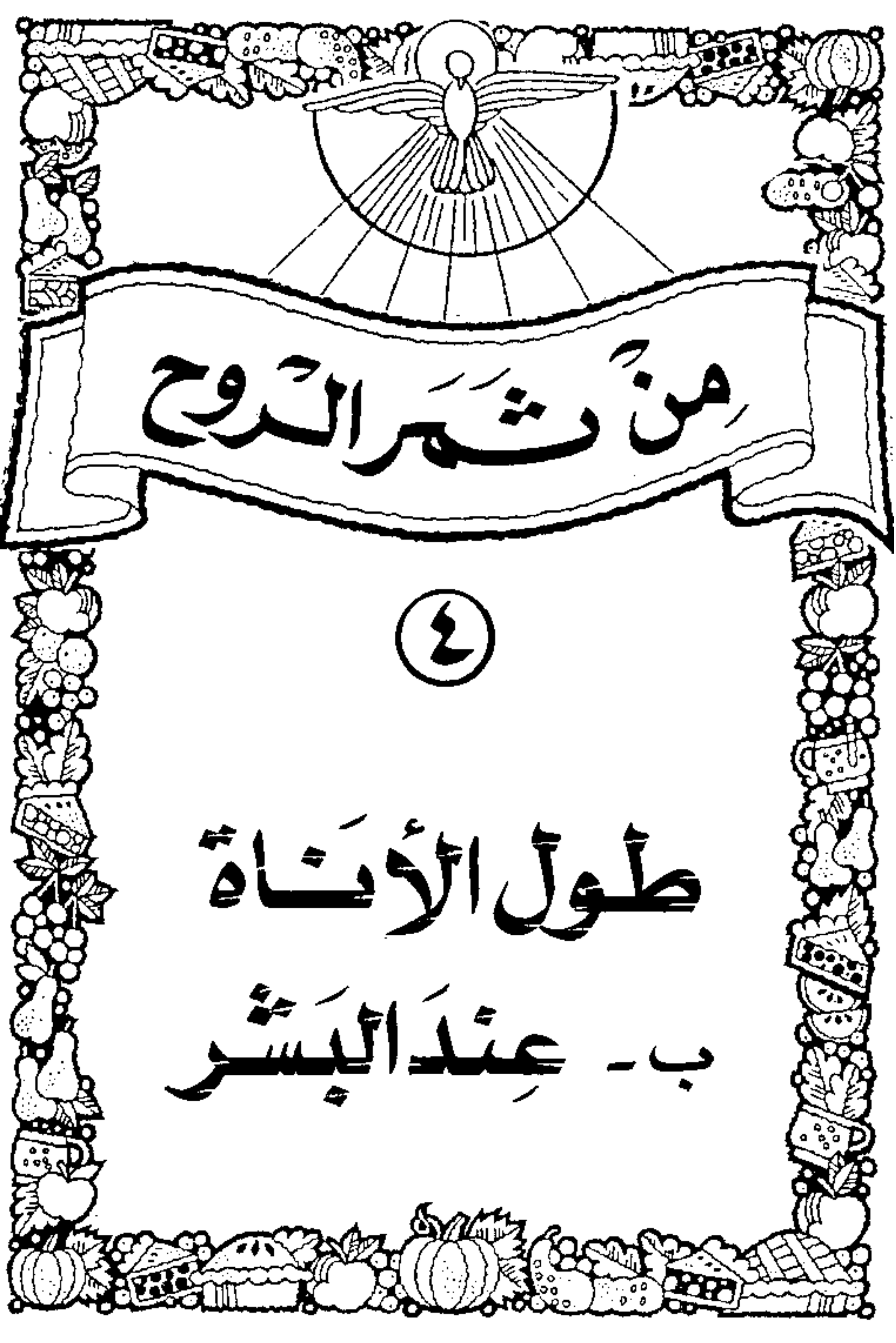
ولو كان الله قد حلّ مشكلة يوسف، من وقت إلقائه في البئر، لظل يوسف مجرد راعٍ بسيط..!

الله يعَلّم أولاده

قلنا إن الله طويل الأناة . ونقول أيضاً إنه يعلم أولاده طول الأناة أيضاً ، ويدربهم على ذلك .

اتفق الله مع ايليا على إنزال المطر ، بعد ثلاث سنوات ونصف من المجاعة . وذهب ايليا وصلى من أجل ذلك مرة ومرتين وثلاثاً .. إلى سادس صلاة ، ولم ينزل المطر! ولم ييأس ايليا، واستمر فى الصلاة بطول أناة . وفي الصلاة السابعة ، رأى غيمة فى حجم قبضة اليد (١مل١٨: ٤٤) . فعرف أن صلاته قد استجيبت ...




مِنْ ثَمَرِ الرُّوح
٤
طول الأناة
ب ـ عِنْدَ البَشَر

تكلمنا عن طول الأناة عند الله. ونود أن نتكلم الآن عن طول الأناة عندنا نحن البشر.

مادمنا قد خلقنا على صورة الله، كشبهه ومثاله (تك١: ٢٦، ٢٧)، إذن ينبغى أن نكون شبهه فى طول الأناة .

من منا لم يطل الله أناته عليه ، ولم يأخذه وهو فى عمق خطاياه؟! ليتنا إذن نتعامل مع الناس بنفس الأسلوب، بطول الأناة . لأن الكتاب يقول "بالكيل الذى به تكيلون، يُكال لكم" (مت٧: ٢) ..

فى التعامل

هناك من يتضايق من معاملات الناس وأسلوبهم الذى لا يستطيع أن يحتمله. يقول لقد نبهت فلاناً من الناس أن يغير أسلوبه فى التعامل معى ، ولم يغيره! وربما تقول زوجة هذا الكلام عن زوجها .

وللناس طباع يحتاجون فى تغييرها إلى طول أناة .

ليس من السهل عليهم أن يغيروا طباعهم بسرعة .. ربما يريدون ولا يستطيعون . وقد يغلبهم الطبع فتتكرر أخطاؤهم عن قصد أو غير قصد. وقد لا يشعرون أن ما يفعلونه خطأ ...

عاش التلاميذ مع السيد المسيح أكثر من ثلاث سنوات. يتعلمون منه . وكما قال لهم "تعلموا منى، فإنى وديع ومتواضع القلب" (مت١١: ٢٩). ومع ذلك فإنه عند القبض عليه، ضرب بطرس عبد رئيس الكهنة بالسيف، فقطع أذنه (يو١٨: ١٠) فوبخه السيد قائلاً : رد سيفك إلى غمده، لأن الذين يأخذون بالسيف، بالسيف يهلكون" (مت٢٦: ٥٢) .

إن القديس بطرس الرسول لم يستطع أن يقاوم طبع الإندفاع الذى كان عنده ، وغلب

منه مرات. واحتاج إلى طول أناة من الرب أن يحتمله، حتى وقت غسل الأرجل (يو١٣: ٦- ١٠) . وبنفس الإندفاع تكلم وأخطأ حينما قال السيد المسيح إنه سوف "يتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، ويُقتل وفى اليوم الثالث يقوم" (مت١٦: ٢١). كل التلاميذ سكتوا، أما بطرس فلم يستطع أن يقاوم اندفاعه، وانتهر السيد قائلاً "حاشاك يارب" . فوبخه الرب على ذلك .

القديس موسى الأسود أيضاً إحتاج إلى طول أناة عجيبة من معلمه القديس أيسوذورس، حتى يتغير طبعه وحتى يصير قديساً تائباً وديعاً ومعلماً لكثيرين ...

بطول الأناة ، لا يملكنا الغضب على الخطاة .

وفى هذا قال الكتاب "ليكن كل إنسان مسرعاً فى الإستماع، مبطئاً فى التكلم، مبطئاً فى الغضب. هذا الإبطاء يعنى طول الأناة فى الإستماع إلى الناس، وإعطاء فرصة للعقل أن يتدبر الأمر فى حكمة، ويهدئ نفسه فلا يخطئ ...

الإنسان الطويل الأناة هو إنسان بطئ الغضب .

إن الله كان يطيل أناته علينا، لأنه يعرف ضعف طبيعتنا .

يقول داود النبى فى ذلك "لا يحاكم إلى الأبد، ولا يحقد إلى الدهر . لم يصنع معنا حسب خطايانا، ولم يجازنا حسب آثامنا.. لأنه يعرف جبلتنا. يذكر أننا تراب نحن" (مز١٠٣: ٩- ١٤). فليتنا نعامل بعضنا بعضاً بنفس الأسلوب، بطول أناة، واضعين أمامنا ضعف الطبيعة البشرية وإمكانية سقوطها. فقد قيل عن الخطية إنها "طرحت كثيرين جرحى، وكل قتلاها أقوياء" (أم٧: ٢٦) .

فى التربية والخدمة

البعض يتعب وقد ييأس ، إن لم تأت الخدمة ثمارها بسرعة. وقد يصفها - ظالماً - بأنها خدمة فاشلة. بينما تحتاج إلى طول بال لتنمو فى هدوء .. كم من السنين قضى المسيح فى خدمة التلاميذ وإعدادهم . وبعد أكثر من ثلاث سنين، أمرهم أن لا يبرحوا أورشليم حتى يلبسوا قوة من الأعالى (لو٢٤: ٤٩) .

تأمل الشجرة كيف أنها لا تعطى ثمراً إلا بعد سنوات :

والغارس يطيل أناته عليها حتى "تعطى ثمرها فى حينه" . وكل شجرة لها طبيعتها .

فمنها التى تثمر بعد ثلاث سنوات، والتى تعطى ثمراً بعد خمس سنوات أو بعد سبع . والغارس فى كل ذلك الانتظار لا يقلق، بل يتدرب على طول الأناة .

الطفل هو تدريب آخر فى طول الأناة .

المرأة تحبل . وتظل ٩ أشهر فى إنتظار ولادة طفلها . الذى ينمو تدريجياً فى بطنها ، حتى يكتمل نموه فيخرج . وقد ترك هذا الأمر تأثيره فى القديس يوحنا ذهبى الفم ، فقال : إن كان الجنين يأخذ فترة حتى ينمو جسدياً، فكم بالأولى الإنسان لينمو روحياً، يحتاج إلى زمن وطول أناة .

كذلك فالطفل يحتاج إلى فترة حتى يتكلم وحتى يمشى وحتى يتعلم. ونحن لا نطالبه بما هو فوق مستواه، بل نطيل آناتنا عليه. ونفرح بتدرجه فى القامة وفى المعرفة .

أيضاً يلزم طول الأناة فى الكرازة والخدمة والتعليم

وكما قال القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس "عظ بكل أناة وتعليم" (٢تى٤: ٢) . ذلك لأن الناس قد لا يحتملون أحياناً الدرجات العالية فى الروحيات إن كانوا لم ينضجوا بعد. وهكذا قال الرسول لأهل كورنثوس "سقيتكم لبناً لا طعاماً لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون. بل الآن أيضاً لا تستطيعون . لأنكم بعد جسديون" (١كو٣: ٢، ٣) . وبنفس الأسلوب وطول الأناة ، رأى الآباء الرسل "ألا يثقّل على الراجعين إلى الله من الأمم. بل يُرسل إليهم أن يمتنعوا عن رجاسات الأصنام والزنا والمخنوق والدم" (أع١٥: ١٩، ٢٠).

والسيد المسيح له المجد وبخ الكتبة والفريسيين "لأنهم يحزمون أحمالاً ثقيلة عسرة الحمل، ويضعونها على أكتاف الناس" (مت٢٣: ٤) .

لذلك فالمستويات العالية من التعليم، لا تُعطى لكل أحد .

وإنما التدرج أو الأناة فى التعليم، هو الذى يأتى بنتيجة . وإن لم يستطع البعض أن يمارس تدريبات روحية معينة، فلا تقسوا عليهم ولا تنتهروهم بشدة ، إنما اصبروا عليهم وشجعوهم وكما قال الرسول :

"شجعوا صغار النفوس. اسندوا الضعفاء. تأنّوا على الجميع" (١تس٥: ١٤) .

فإن خدم خادم فصلاً، ووجد تلاميذه لا يتحسنون بسرعة، فلا ييأس، ولا يتهم نفسه بأنه لا يصلح للخدمة. كما لا يتهم المخدومين بأنه لا فائدة ترجى منهم! كلا، يا أخى، ليس العيب فيك ولا فيهم . إنها طبيعة الخدمة تحتاج إلى وقت وطول بال . لذلك تأنَّ عليهم،

ولا تظن أن طباع الناس تتغير فجأة بكلمة أو بنصيحة !

إن الدجاجة تلزمها فترة تحتضن فيها البيض ، حتى ينضج وتخرج فراخه. والبذار لابد أن تقضى فترة فى الأرض، حتى تخضّر وتنمو، وتصير شجراً وتثمر. وكل هذا يحتاج إلى طول بال وانتظار ...

فانتظر إذن واصبر . فإن الكتاب يقول :

"من يصبر إلى المنتهى ، فهذا يخلص" (مت١٠: ٢٢) .

ويقول أيضاً "بصبركم تقتنون أنفسكم" (لو٢١: ١٩) .

لقد قال داود النبى "انتظرت نفسى الرب ، من محرس الصبح حتى الليل" (مز١٣٠: ٦، ٧) . يقصد من البداية حتى التمام، بكل طول أناة .

فى الصلاة

الإنسان الطويل الروح يصلى ، ولا يقلق من جهة استجابة الله لصلاته . يكفى أن الله قد سمعها . نترك الأمر إذن لمحبته ... هو يستجيب الصلاة فى الوقت المناسب، وبالطريقة المناسبة، حسب حكمته وحسن تدبيره وتقديره للأوقات ...

هناك أشخاص ليس لهم طول أناة فى الصلاة . لا ينتظرون الرب . ومع ذلك يعاتبون الله كثيراً . ويكادون يغلّطونه أحياناً !!

ويقولون : يارب أنت .. وأنت ... وهو يطيل أناته عليهم وعلى عتابهم ..

يحتاج الأمر منهم إلى إيمان بعمل الرب لأجلهم ...

أحياناً يتباطأ الرب فى الإستجابة ، أو يخيل إلينا أنه تباطأ . وذلك لكى يدربنا على الصبر والإيمان . فلا يأتى إلا فى الهزيع الأخير من الليل .. ولا يفتقد العمال إلا فى الساعة الحادية عشرة من النهار ! (مت٢٠: ٦، ٧) . كل ذلك لكى يعلّمنا أن ننتظر الرب، ولكى نتدرب على طول البال ، هذه الصفة التى هى من صفات الله ...

أحياناً يبدو الله طويل البال فى حلّ المشاكل !!

ذلك لأن صاحب المشكلة يكون قلقاً ومنزعجاً ، ويريد حلّها فى التوّ واللحظة. وليس لديه طول بال ولا صبر على حل المشكلة.. بينما يكون الله قد استلم المشكلة، وبدأ فعلاً فى حلّها ، بالأسلوب الذى يتناسب مع حكمته فى التدبير ...

طول بال الله ، إنما يقودك إلى اللجاجة فى الصلاة ، وليس إلى القلق ...

مَضار عَدم طول الأنــاة

الإنسان الذى ليس له طول البال، يقع فى القلق والضجر والإنزعاج. وتتعب نفسيته، ويفقد سلامه الداخلى ...

يقلق بسرعة ، كشخص فى كل دقيقة أو لحظة ينظر إلى الساعة !

★وقد يصاب بالإندفاع والتسرع، مما يسبب له نتائج رديئة!

★والذى ليس له صبر، ولا طول أناة، ربما فى تسّرعه يأخذ قرارات أو مواقف ارتجالية أو هوجائية. كالشخص الذى يرى أن الله لم يستجب صلواته، فيقسم أنه لن يدخل الكنيسة!! إحتجاجاً منه على الله ..!

★قد يقود القلق وعدم طول البال إلى الإعتماد على الذراع البشرى والحكمة البشرية الخاطئة .

مثال ذلك حينما ظن أبونا ابراهيم أن الله لم يعطه نسلاً حسبما وعده ، فلجأ إلى الحكمة البشرية ليتخذ هاجر زوجة له تنجب له إبناً (تك١٦: ١- ٤).. أو لم يجد أن نسله لم يصر مثل نجوم السماء فى الكثرة، فأخذ قطورة زوجة فولدت له بنين كثيرين (تك٢٥: ١- ٤) .

والعجيب أن الطرق البشرية قد تأتى بنتائج سريعة، ولكنها ليست حسب مشيئة الله، التى قد تتأخر ولكن فى حكمة وبركة ومنفعة .

طريقة الله هادئة ، وتسير خطوة خطوة ، حتى تصل بسلام ..

★هناك أشخاص ليس لهم طول بال حتى فى الكلام مع الناس. فيقاطعون غيرهم، ولا يستطيعون أن ينتظروا إلى أن ينتهى مخاطبهم من كلامه لكى يتابعوه بعد ذلك .

★وقوم ليس لهم طول بال فى حلّ مشاكلهم ، فيلجأون إلى أهل السحر والشعوذة، لعلهم يجدون عندهم العون والحل!!

ما أكثر أخطاء الذين ليس لهم أناة وطول روح ...


من ثمر الروح
٥
اللطف

هكذا قال الكتاب "وأما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام، طول أناة لطف.." . وقد تحدثنا في الأبواب السابقة عن المحبة والفرح والسلام، ونود أن نحدثك الآن عن اللطف...

قال الرسول عن السيد الرب "..أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته ، غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة" (رو٢: ٤) . إذن من لطف الله أنه يطيل أناته علينا، لكي بلطفه وطول أناته يقتادنا إلى التوبة .. ويقول الرسول أيضاً "حين ظهر لطف الله مخلصنا وإحسانه، لا بأعمال في بر عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس" (تي٣: ٤، ٥) . إذن مغفرة الله التي قدمها لنا في الفداء والمعمودية هي دليل على لطفه ورحمته وإحسانه ...

اللطف هو من صفات الله في معاملته للبشر . وهو أيضاً من صفات رسله .

وهكذا قال القديس بولس الرسول في خدمته للرب هو وجميع العاملين معه "في كل شئ نُظهر أنفسنا كخدام الله في صبر كثير.. في أتعاب في أسهار في أصوام، في طهارة في علم، في أناة في لطف.." (٢كو٦: ٤-٦) .

ودعانا الآباء الرسل إلى السلوك بلطف :

فقال القديس بولس الرسول "كونوا لطفاء بعضكم نحو بعض" (أف٤: ٣٢) . وقال أيضاً "إلبسوا كمختاري الله القديسين المحبوبين أحشاء رأفات ولطفاً وتواضعاً ووداعة وطول أناة" (كو٣: ١٢) . وهنا نلاحظ أن هذه الفضائل ترتبط ببعضها البعض: اللطف مع الوداعة والتواضع والرأفة وطول الأناة .

ويقول القديس بطرس الرسول "كونوا جميعاً متحدين في الرأي، بحسٍ واحد، ذوي محبة أخوية، مشفقين لطفاء، غير مجازين عن شرٍ بشرٍ، أو عن شتيمة بشتيمة، بل

بالعكس مباركين" (١بط٣: ٨، ٩) .

ولعلنا هنا نسأل : ما هو اللطف وصفاته ؟ وكيف يسلك اللطفاء ؟

اللطف هو كل هذه الفضائل التى ذكرها الكتاب مجتمعة .

هو ثمرة طبيعية لحياة الوداعة والرقة والبشاشة والإتضاع، والبعد عن الخشونة والعنف والقسوة والتعالى . ومادام هو من ثمر الروح، إذن فهو من ثمر "الروح الوديع الهادئ" (١بط٣: ٤) . وهكذا يكون الإنسان اللطيف .

هناك أشخاص – للأسف الشديد – يظنون أن الحياة الروحية هى مجرد صلاة وصوم، بينما يسلكون بطريقة منفرة فى معاملة الآخرين!! ولكننى أقول :

إن لم تكن لطيفاً فى تعاملك، فأنت شخص غير متدين على الإطلاق .

ذلك لأن اللطف من ثمر الروح كما يقول الكتاب (غل٥: ٢٣) . فالذى ليس فى حياته هذا الثمر – أى اللطف – لا يكون إنساناً روحياً، لأنه لا يسلك بطريقة روحية .. كونوا إذن "لطفاء بعضكم نحو بعض" (اف٤: ٢٢) .

هذا اللطف نراه فى معاملة الأب مع الابن الضال، وأخيه الضال الأكبر .

الابن الضال جاء إلى ابيه يطلب منه أن يعطيه نصيبه من الميراث! فلم ينتهره الأب ولم يقل له : كيف هذا يا ابنى؟! كيف ترثنى وأنا حىّ؟! إنما بكل لطف وهدوء قسّم ماله وأعطاه نصيبه ... ولما أنفق هذا المال بعيش مسرف ، واحتاج وجاع ، وعاد إلى أبيه معترفاً بأنه أخطأ، قبله الأب بفرح، بل لما رآه من بعيد ، وقبل أن يعترف "تحنن الأب، وركض ووقع على عنقه وقبّله" (لو١٥: ٢٠) . وألبسه الحلّة الأولى، وجعل خاتماً فى أصبعه، وذبح له العجل المسمن، وفرح برجوعه .. أى لطف هذا فى المعاملة .

باللطف لم يكسر نفسه فى رجوعه ، ولم يخجله ، ولم يوبخه .

وأيضاً الابن الأكبر حينما غضب لإكرام أخيه العائد ، ورفض أن يدخل البيت وأن يشترك فى الفرح بعودة أخيه .. ولكنه تمادى واتهم الأب بالبخل وعدم العدل، وقال له "ها أنا أخدمك سنين هذا عددها ، وقط لم أتجاوز وصيتك. وجدياً لم تعطنى لأفرح مع أصدقائى. ولكن لما جاء ابنك هذا الذى أكل معيشتك مع الزوانى، ذبحت له العجل المسمن!!" . ولم يغضب الأب لهذا العتاب القاسى بكل ما فيه من أخطاء . وبكل لطف أجابه "يا ابنى أنت معى فى كل حين. وكل مالى فهو لك. ولكن كان ينبغى أن نفرح

ونسر، لأن أخاك هذا كان ميتاً فعاش، وكان ضالاً فوجد" (لو١٥: ٢٥- ٣١) .

لم يحاسبه ولم يعاتبه على اتهاماته له ولأخيه ، وإنما فى لطفه، ردّ عليه إيجابياً "أنت ابنى" "كل مالى فهو لك" "كان ينبغى أن نفرح.." .

القلب العامر باللطف لا يوبخ كثيراً. وإن وبخ لا يستخدم كلاماً جارحاً .

ولنا مثال على ذلك موقف سيدنا يسوع المسيح من تلميذه بطرس الذى أنكره ثلاث مرات، وسبّ ولعن وقال عنه :لا أعرف الرجل (مت٢٦: ٦٩-٧٤) . فلما التقى به الرب بعد القيامة، وأراد أن يوبخه على إنكاره، لم يذكرّه بأنه أنكره ثلاث مرات، وأنه حلف وسب ولعن وقال لا أعرف الرجل! وإنما قال له ثلاث مرات "يا سمعان بن يونا، أتحبنى أكثر من هؤلاء" . وفى كل مرة يجيب فيها بطرس بعبارة إنى أحبك، كان يقول له "إرعَ غنمى" أو "إرعَ خرافى" . وأحس بطرس بهذا التوبيخ اللطيف وحزن. وقال له "يارب، أنت تعلم كل شئ. أنت تعرف أنى أحبك" (يو٢١: ١٥- ١٧) .

حقاً . إن القلب العامر باللطف ، يكسب الناس بلطفه .

لقد استطاع الرب أن يكسب زكا العشار، والمرأة السامرية، والخاطئة المضبوطة فى ذات الفعل، وتلك التى بللت قدميه بدموعها ومسحتهما بشعر رأسها .. كل أولئك كسبهم باللطف . عاملهم بلطف. لم يوبخ أحداً منهم، ولم يستخدم التوبيخ والكلام القاسى ...

ما أشد قسوة بعض (المتدينين) فى معاملتهم للخطاة ، أو من يظنونهم خطاة..! وما أكثر ما يستخدمون من عبارات جارحة في توبيخهم! ويحسبون أن هذه غيرة مقدسة منهم وشهادة للحق! وأنهم يقودونهم بهذا إلى التوبة . ولكن السيد المسيح لم يكن هكذا، بل قِيل عنه :

"لا يخاصم ولا يصيح، ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة مدخنة لا يطفئ" (مت١٢: ٢٠) (إش٤٢: ٣) .

لم يذكّر زكا العشار بشئ من كل أخطاء ماضيه. بل وسط الزحام، وقف عنده بالذات، وناداه باسمه ، ودعا نفسه أن يدخل بيته ويبيت عنده. ولما "تذمر الجميع قائلين إنه دخل ليبيت عند رجل خاطئ" . دافع السيد المسيح عن زكا قائلاً إنه هو أيضاً ابن لابراهيم. وأعلن أنه "اليوم حصل خلاص لهذا البيت" (لو١٩: ٥- ٩). تُرى لو وبخ زكا، أكان سيكسبه؟! كلا، بل باللطف قد كسبه ...

فرق كبير بين القسوة التي توبخ الإنسان على خطاياه، وبين اللطف الذى يجعل الخاطئ من تلقاء ذاته يعترف بخطاياه ويتوب عنها .

وهذا هو ما حدث مع زكا . لم يقل له السيد إنه خاطئ، بل قد جعله مستحقاً أن يبيت الرب في بيته، على الرغم من سمعته الرديئة . وبهذا اللطف قال زكا "ها أنا يارب أعطى نصف أموالى للمساكين. وإن كنت قد وشيت بأحد، أرد أربعة أضعاف" (لو ١٩: ٨) .

وبالمثل في معاملة الرب للسامرية :

لم يوبخها على خطاياها وسيرتها البطالة . ولم يلقِ عليها درساً في التوبة والعفة .. إنما بكل لطف، حدثها عن الماء الحى، وعن السجود لله بالروح والحق (يو ٤: ١٤، ٢٣). وبلطف أيضاً استدرجها إلى الإعتراف. قال لها "اذهبى وادعى زوجك" ولم يكن هو زوجها . إنما علاقة ذلك الرجل بها، علاقة لا توصف إلا بكلمة جارحة لم يسمح الرب أن يقولها لكيلا يخدش شعورها . بل قال "حسناً قلت إنه ليس لك زوج. لأنه كان لك خمسة أزواج . والذى لك الآن ليس هو زوجك. هذا قلت بالصدق" (يو ٤: ١٦– ١٨) .

وهكذا جعل الإعتراف المتعب بين مديحين: سبقه بعبارة مديح هى "حسناً قلت" . وختمه بعبارة مديح "هذا قلتِ بالصدق" .

فعلى الرغم من حياتها الخاطئة ، وجد فيها شيئاً يستحق المديح، فمدحها عليه. وبهذا اللطف اقتادها إلى التوبة ، بل إلى الإيمان أيضاً ، وإلى التبشير بهذا الإيمان .. فقالت له المرأة "يا سيد، أرى أنك نبى" . وذهبت تبشر به بين شعبها قائلة "تعالوا أنظروا إنساناً قال لى كل ما فعلت. ألعل هذا هو المسيح" (يو ٤: ٢٩) ... وهكذا كسبها المسيح وكل أهل مدينتها إلى الإيمان (يو٤: ٤٢) .

وبنفس اللطف عامل السيد الرب المرأة المضبوطة فى ذات الفعل .

كان الكتبة والفريسيون حولها كالوحوش يريدون رجمها ، ويريدون منه أن يوافق على ذلك حسبما تقول الشريعة . أما هو – فبكل لطف – دافع عن هذه المرأة الذليلة الخجلى. ووبخ المطالبين برجمها قائلاً لهم "من كان منكم بلا خطية، فليرمها أولاً بحجر" (يو٨: ٧) . "وانحنى إلى أسفل ، وكان يكتب على الأرض". ولعله كان يكتب على الأرض خطايا كل منهم. نعم، إن كانت هذه المرأة قد ضبطت فى ذات الفعل ، فلابد أنه كان هناك رجل يخطئ معها فى ذات الفعل أيضاً. وكما قال الشاعر فؤاد بليبل عن مثل هذه المرأة :

ودعوك بائعة الأثيم من الهوى كذبوا فإن الذنب ذنب المشترى

وبعد أن أنقذ السيد هذه المرأة من الذين أدانوها، ومضوا جميعاً.. قال لها "وأنا أيضاً لا أدينك. اذهبى ولا تعودى تخطئى أيضاً" ...

ما كان ممكناً لهذه المرأة أن تجد شخصاً لطيفاً كهذا، ينقذها من الرجم، ويدين طالبى رجمها فينصرفون . ويقول لها "ولا أنا أدينك.." .

وبنفس اللطف عامل الخاطئة التى غسلت قدميه بدموعها .

لم يقل لها كلمة واحدة جارحة، بل قال لها مغفورة لك خطاياكِ (لو٧: ٤٨) . وأظهر لسمعان الفريسى الذى انتقدها إنها أفضل منه، وأنها قد أحبت كثيراً، لذلك غُفر لها الكثير. وذكر لها فضائلها . وهكذا فإن الرب بلطفه قد وجد فيها أشياء يمكن إمتداحها بسببها. ثم قال لها أخيراً: "إيمانك قد خلصك. اذهبى بسلام" (لو٧: ٥٠) .

حقاً إن اللطف يكتشف النقط البيضاء فيمتدحها ، ولا يركز على النقط السوداء .

تحضرنى بهذه المناسبة قصة مدير مدرسة للطيران ...

كان قد أعدّ الطلبة للامتحان النهائى العملى للتخرج . وصعد أحد الطلبة بالطائرة ، وإذا بزمامها يفلت من يده، وبدأت تتأرجح فى الهواء بطريقة مخيفة . وشعر قائدها بأنه قد فشل فى الإمتحان ولابد سيرفت من المدرسة، فعلى الأقل فلينقذ نفسه من الموت. وهكذا جاهد حتى نزل بها إلى الأرض سالماً .. واقبل إليه مدير المدرسة ، وقد توقع أن يسمع منه قرار الفصل. ولكن مدير المدرسة شدّ على يده بحرارة وهو يهنئه قائلاً "على الرغم من خطورة الموقف، فإنك نجحت فى أن تنزل بالطائرة سالماً كأمهر طيار رأيته فى حياتى" .. وبهذا الكلمات اللطيفة ، أدخل الطمأنينة إلى نفسه . ثم قدّم له بعض النصائح ..

إن القلب اللطيف لا يحتقر الضعفاء ، بل يسندهم .

وهكذا يقول الكتاب "شجعوا صغار النفوس . اسندوا الضعفاء .

تأنوا على الجميع" (١تس٥: ١٤) . نعم، لولا هذه المعاملة من الله لنا، لهلكنا جميعاً. إنه يقول فى مسألة المديونين اللذين على أحدهما خمسمائة دينار وعلى الآخر خمسون "وإذ لم يكن لهما ما يوفيانه، سامحهما جميعاً" (لو٧: ١٢). إنه لم يحتقر أورشليم المدوسة بدمها، بل غسل عنها دماءها ، ومسحها بالزيت ، وجعل تاج جمال على رأسها، فصلحت لمملكة" (خر١٦: ٦- ١٣) .

بل إن الرب يعذر المخطئين – بلطفه – ويُوجد لبعضهم عذراً .

التلاميذ الثلاثة الذين كانوا معه فى بستان جثسيمانى، ولم يستطيعوا أن يسهروا معه ساعة واحدة، عذرهم قائلاً "أما الروح فنشيط. وأما الجسد فضعيف" (مت٢٦: ٤١). فعلى الرغم من نومهم، قال لهم بلطفه: "أما الروح فنشيط. والتمس لهم عذراً من جهة ضعف الجسد ...

وفى (مزمور ١٠٣) يقول الكتاب عن لطف الله وتحننه "لم يصنع معنا حسب خطايانا، ولم يجازنا حسب آثامنا" لماذا؟ "لأنه يعرف جبلتنا. يذكر أننا تراب نحن" . وبنفس اللطف تصلى الكنيسة فى أوشية الراقدين، تطلب لهم الرحمة "إذ لبسوا جسداً، وسكنوا فى هذا العالم.."

إن الله بلطفه ، يقدّر ظروف الناس ، وطبيعتهم الضعيفة ، فيغفر ... إنهم مجرد تراب، أثارتهم الريح، فتحولوا إلى غبار فى الجو . يصبر عليهم بعض الوقت ، حتى تهدأ الريح، فيستقرون ...

الله فى لطفه ، يسمح لأولاده أن يعاتبوه أو يجادلوه . وقد يشتدون فى كلامهم ، فلا يغضب . وإنما بكل لطف يعطيهم فرصة للتعبير عما فى داخلهم بكل حرية .

ما أعجب أن يقول له ابراهيم أبو الآباء – فى شفاعته عن سادوم – "أديان الأرض كلها لا يصنع عدلاً؟! حاشا لك يارب أن تفعل هذا الأمر : أن تميت البار مع الأثيم . فيكون البار كالأثيم! حاشا لك" (تك١٨: ٢٥) ... ثم يبدأ التفاوض . إن وُجد فى المدينة خمسون باراً.. إن وجد ٤٥.. إن وجد أربعون .. حتى وصل التفاهم إن وُجد عشرة ابرار، لا يهلك الله المدينة من أجل العشرة (تك١٨: ٢٦- ٣٢) .. كل هذا والرب فى لطف شديد يتلقى مفاوضة ابراهيم، ويفسح له المجال إلى آخر حد، حتى توقف ...

نفس اللطف فى تشفع موسى إلى الله لأجل الشعب .

كانوا قد عبدوا العجل الذهبى الذى صنعوه ، بعد كل المعجزات التى رأوها من الرب فى مصر وفى البرية .. وغضب عليهم الرب حتى أراد أن يفنيهم . وهنا تدخل موسى ليشفع فيهم . فقال للرب : لماذا يارب يحمى غضبك على شعبك؟! لماذا يقولون أخرجهم بخبث ليقتلهم فى الجبال ويفنيهم على وجه الأرض. أرجع عن حمو غضبك واندم على الشر (خر٣٢: ١١، ١٢) . ويسمع الرب هذا الكلام ، ولا يتضايق بل يعفو ...

وارميا النبى يقول : أبر أنت يارب من أن أخاصمك . ولكنى اكلمك من جهة أحكامك. لماذا تنجح طريق الأشرار . إطمأن كل الغادرين غدراً (أر١٢: ١) .

لم يقل الله : من هو هذا التراب ، حتى يكلمنى من جهة أحكامى؟! بل كيف ينسب إلىّ نجاح طرق الأشرار، أو حتى السكوت على ذلك!! .. إنما استمع له فى لطف وأراحه ...

ظهر لطف الله أيضاً فى معاملة يونان النبى .

لم يرفضه بسبب عصيانه له ، بل اقتاده إلى الطاعة بحكمة ، وانقذه من بطن الحوت، وأعاده إلى رسالته فى أنذار نينوى. ولما تابت نينوى ولم يعاقبها الله "وغم ذلك يونان غماً شديداً فاغتاظ" وطلب لنفسه الموت ... عاتبه الله بلطف قائلاً "هل اغتظت بالصواب؟!" (يون٤: ١، ٤) . واجتذبه بما حدث لليقطينة . وشرح له لماذا قبل توبة نينوى .

حقاً إنه بالعنف قد يخسر الشخص أحباءه ، بينما باللطف يكسب أعداءه .

هنا واقول إن للطف حدوداً . فإن لم يوصل إلى هدفه تبدأ العقوبة .

وهكذا يقول الرسول "هوذا لطف الله وصرامته . أما الصرامة فعلى الذين سقطوا. أما اللطف فلك ، إن ثبتّ فى اللطف . وإلا فأنت أيضاً ستقطع " (رو١١: ٢٢) . وفى هذا المجال نذكر مثل تلك الشجرة التى لم تعط ثمراً على مدى ثلاث سنوات وهى تبطل الأرض . فلما أراد الكرام قطعها ، قال صاحب الكرم فى لطف "اتركها هذه السنة أيضاً ، حتى أنقب حولها وأضع زبلاً . فإن صنعت ثمراً، وإلا ففيما بعد نقطعها" (لو١٣: ٦-٩). اللطف فى تركها هذه السنة أيضاً" والصرامة هى فى قوله "وإلا ففيما بعد نقطعها" .




مِنْ ثَمَرِ الرُّوح
٦
الصَّلاح

نتابع حديثنا عن ثمر الروح كما ورد فى (غل٥: ٢٢، ٢٣) .

فنتحدث عن الصلاح . ولكن كيف يمكن أن يتصف إنسان بالصلاح، بينما يقول الكتاب "ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله" (مت١٩: ١٧) ؟!

المقصود طبعاً هو الصلاح النسبى ، وليس الصلاح المطلق الذى هو من صفات الله وحده .

والمقصود بالصلاح النسبى ، أية نسبة لمدى عمل الروح القدس فى الإنسان، ومدى إستجابة الإنسان لعمل الروح وشركته مع الروح القدس . تماماً مثلما نفسر قول الرب "كونوا كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل" (مت٥: ٤٨) بأن المقصود هو الكمال النسبى ، لأن الكمال المطلق هو من صفات الله وحده ...

وحينما نتكلم عن الصلاح ، نذكر أنه على نوعين : صلاح سلبى، وصلاح إيجابى .

الصلاح السلبى هو البعد عن الخطايا، وتمثله غالبية الوصايا العشر، مثل : لا تكن لك آلهة أخرى أمامى. لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً .. لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً .. لا تقتل. لا تزنِ . لا تسرق . لا تشتهِ مال قريبك ...

أما الصلاح الإيجابى ، فتمثله التطويبات فى العهد الجديد: طوبى للمساكين بالروح، للودعاء، لأنقياء القلب، لصانعى السلام، للرحماء. ويمثله فى العهد القديم : "تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك" (تث٦: ٥) . وتمثله أيضاً ثمار الروح التى نتحدث عنها .

والمطلوب من الإنسان أن يسلك فى الأمرين معاً : البعد عن كل أنواع الخطايا من الناحية السلبية، والسلوك فى كل الفضائل إيجابياً .

الإنسان الذى يصل إلى كمال الصلاح ، يشمئز من الخطية وينفر منها فإن قل

صلاحه، يكون بينـه وبين الخطية أخذ ورد. أما إن فقد صلاحـه ، فإنـه يلتذ بالخطيـة ويستسلم لها، بل قد يسعى إليها ...

إذن لكى يحيا الإنسان فى حياة الصلاح ، ينبغى أن يصل إلى المرحلة التى ينفـر فيهـا من الخطية، كما قال يوسف الصديق "كيف افعل هذا الشر العظيم، وأخطـئ إلـى اللـه؟!" (تك٣٩: ٩). ويعبر عن هذا أيضـاً قـول القديس يوحنـا الرسـول فـى رسـالته الأولـى إن المولود من الله لا يستطيع أن يخطئ (١يو٣: ٩) .

وفعلاً ، هناك أشياء لا يستطيع الإنسان الروحى أن يفعلها .. لا يستطيع أن يلفظ كلمـة نابية بذيئة، لا يستطيع أن يكذب، بل إنه يحتقر نفسه إن فعل ذلك. لا يستطيع أن يقوم بأى عمل غير مهذب... وبالتالى كلما نما فى الصلاح يجد أنه عموماً لا يستطيع أن يخطئ...

هناك عيب من جهة السلوك فى الصلاح أن يحكم الإنسان على بعض الخطايا بأنها خطايا بسيطة!! فيتساهل معها!!

الخطية هى الخطية سواء حكـم عليهـا الشخص بأنها بسيطة أو كبيرة. وهكذا يقـول الرب : من قال لأخيه يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم (مت٥: ٢٢) . وهكذا فـى بـاقى خطايا اللسان، يقول "بكلامك تتبرر، وبكلامك تدان" (مت١٢: ٣٧) .

حقاً ، إنه توجد خطية أبشع من خطية . ولكن كلاً منها تتنافى مـع الصـلاح. فالإنسـان الصالح لا يرتكب هذه ولا تلك . فالرسول يأمرنا أن نسلك بتدقيق (أف٥: ١٥) .

ما معنى أن الصلاح من ثمر الروح ؟

له بلاشك معنى مزدوج . فهو من ثمر عمل الـروح القدس فـى قلـب الإنسـان . ومـن ثمر روح الإنسان فى إستجابتها لعمـل الـروح القدس فيهـا . أو هـو ثمـر لشـركة الـروح القدس، أى لمشاركة روح الإنسان لروح الله القدوس ، فى الرغبة وفى العمل ...

ماذا إذن عن صراع الإنسان مع الخطية ؟

هل نقول عن مثل هذا الإنسان إنه صالح ؟ إن القديس بولس الرسـول يدعـو إلـى هـذا الصراع، ويسميه جهاداً . فيلوم العبرانيين قائلاً "لم تقاوموا بعد حتى الدم، مجـاهدين ضـد الخطية" (عب١٢: ٤) . إذن فالصراع ضد الخطية أمر صالح يقود إلى الصـلاح ، حينمـا ينتصر الإنسان على الخطية ، ويصل إلى محبة الخير التى لا تحتاج إلى صراع ...

على أننا ينبغى أن نفرّق بين نوعين من الصراع :

صراع ضد خطية تحاربه من الخارج . وهذا يحدث للقديسين من حسد الشيطان وحروبه. وهو صراع لا يتنافى مع الصلاح ، بل أنه يدل على صلاح الإنسان، وعدم قبوله للخطية التى تحاربه. المهم أنه لا يستسلم ، بل يقاوم حتى الدم مجاهداً ضد الخطية .

النوع الثانى من الصراع أن يصارع الإنسان ضد خطية تأتيه من داخله، من قلبه، من فكره، من مشاعره. وهذا يدل على أن الداخل لم يصل إلى النقاوة بعد. لم يصل إلى الصلاح بعد، بل يجاهد لكى يصل إليه. إنه صراع صالح، من قلب يريد أن يكون صالحاً.

الخطية بشعة ، الأبرار يشمئزون منها. لذلك يحترس الخاطئ من إرتكابها أمام الصالحين. بل يرتكبها فى الظلام ، فى الخفاء .

فإن كان الصالحون يشمئزون من الخطية، فكم بالأكثر الملائكة !

لذلك حينما ترتكب الخطية، كأنما تطرد الملائكة من حولك ، أو على الأقل الملاك الحارس، الذى "فى مجلس المستهزئين لا يجلس. إنه يحاول أن يصدك عن الخطية، فإن اصررت عليها، يبتعد عنك. وحينئذ ينفرد بك عدو الخير. فإن كانت الخطية بشعة هكذا أمام الأبرار وأمام الملائكة ، فكم بالأكثر تكون بشعة أمام الله الكلى القداسة !!

لذلك من بشاعة الخطية ، إننا نرتكبها أمام الله .

وهكذا يقول داود النبى فى المزمور الخمسين مزمور التوبة : يقول لله "إليك وحدك أخطأت، والشر قدامك صنعت" . إذن فهى ليست فقط خطية أمام الله، إنما بالأكثر خطية إلى الله.. خطية نحزن بها روح الله القدوس (أف٤: ٣٠) . ولأنها خطية ضد الله، لذلك قال يوسف الصديق "كيف افعل هذا الشر العظيم، وأخطئ إلى الله" (تك٣٩: ٩) .

إذن فالإنسان الصالح ينفر من الخطية، لأنه يوقن أنه بها يخطئ إلى الله، ويخطئ قدام الله ، ويحزن روح الله ...

قطعاً إن الإنسان – اثناء ارتكابه للخطية – يكون قد نسى أنه أمام الله ، الذى يراه وهو يرتكب الخطية . لذلك فإن داود النبى قال للرب عز أمثال هؤلاء الخطاة "لم يجعلوا الله أمامهم" (مز٥٤: ٣). هؤلاء صنعوا الشر أمام الله ولم يبالوا، أو أنهم لم يسبقوا أن يجعلوا الله أمامهم .

أما الإنسان الصالح ، فإن الله أمامه باستمرار، يخشى أن يخطئ قدامه. ما أعمق قول

إيليا النبى "حىّ هو رب الجنود الذى أنا واقف قدامه" (١مل ١٨: ١٥) .

لذلك فالذى يقول "اعترف بخطاياى أمام الله مباشرة" ! قد نسى أنه ارتكب تلك الخطايا أمام الله ولم يخجل! فالأفضل له الإعتراف بها أمام الكاهن ، لكى يخجل منه فلا يعود إلى إرتكابها ...

هناك أناس يفقدون صلاحهم ، لأنهم يستغلون طيبة الله بطريقة خاطئة .

إن طيبة الله ، ينبغى أن يُوضع أمامها صلاح الله وقداسة الله، ودعوته لنا إلى حياة القداسة والبر . بل ينبغى أن يتذكر هؤلاء قول الرسول "أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته، غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة! ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضباً فى يوم الغضب . " (رو٢: ٤، ٥) .

✠ ✠ ✠

إن الله من أجل محبته للصلاح، وقيادتنا إلى الصلاح، وضع أمامنا إمكانيات كثيرة تقودنا إلى الصلاح، منها :

★أولاً خلقنا على صورته ومثاله ، فى البر والصلاح ، فى العقل والفهم والحكمة .. ولما فقدنا بالخطية هذه الصورة الإلهية، قدمها لنا فى شخص الرب يسوع المسيح "الذى هو صورة الله غير المنظور" (كو١: ١٥) ، لكى يقدم لنا القدوة المثلى فى الصلاح. حتى كما سلك ذاك، ينبغى أن نسلك نحن أيضاً (١يو٢: ٦) .

طبعاً العمل الأساسى للتجسد الإلهى هو الفداء ، ولكن من الأغراض الإضافية تقديم الصورة الإلهية والقدوة المثالية للإنسان .

★أيضاً لما فسدت طبيعتنا البشرية، قدم لنا تجديداً فى المعمودية .

فيها يُصلب الإنسان العتيق ، ويقوم إنسان جديد على صورة الله ، لكيما نسلك فى جدة الحياة (رو٦: ٤، ٦) . شخص جديد يخرج من جرن المعمودية مولوداً من الماء والروح. وما أجمل وأعمق قول القديس بولس الرسول فى هذا "لأن جميعكم الذين إعتمدتم للمسيح، قد لبستم المسيح" (غل٣: ٢٧) أى لبستم البر الذى فى المسيح .

كل هذا يقدمه لنا، لكى نستطيع أن نسلك فى الصلاح .

★وأيضاً لنسلك فى الصلاح ، جعلنا هياكل لروحه القدوس :

وهكذا قال الكتاب "أما تعلمون أنكم هيكل الله، وروح الله يسكن فيكم" (١كو٣: ١٦). تنال هذا بالمسحة المقدسة فى سر الميرون . فيحل روح الله فى داخلك. ويكرر الرسول

نفس المعنى فى نفس الرسالة فيقول "أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم، الذى لكم من الله، وأنكم لستم لأنفسكم" (اكو٦: ١٩) .

هذا الروح القدس الذى فيك "يبكتك على خطية .. ويرشدك إلى جميع الحق" (يو١٦: ٨، ١٣) . ويعلمك كل شئ ، ويذكرك بكل ما قاله الرب (يو١٤: ٢٦). وهكذا يساعدك على عمل الخير ، ويقودك إلى حياة الصلاح . وماذا أيضاً ؟

★ارسل الله لك نعمته ، لكى تعينك على الخير والصلاح .

وهذه النعمة ضمن البركة التى تختم بها الكنيسة كل إجتماع . فنقول "محبة الله الآب، ونعمة ابنه الوحيد، وشركة الروح القدس، تكون مع جميعكم" (٢كو١٣: ١٤) .

ونلاحظ أن كثيراً من رسائل القديس بولس الرسول تبدأ بهذه النعمة أو تنتهى بها . فيقول "نعمة لكم وسلام من الله أبينا.." (اكو١: ٣) فى بداية رسالته الأولى إلى كورنثوس. ويختمها أيضاً بعبارة "نعمة الرب يسوع المسيح معكم" (اكو١٦: ٢٣) ... وهكذا فى باقى الرسائل ...

هذه النعمة لا تقودك فقط إلى صلاح نفسك ، وإنما تساعد أيضاً فى الخدمة لأجل صلاح الآخرين .

وهكذا يقول القديس بولس الرسول "ولكن بنعمة الله، أنا ما أنا. ونعمته المعطاة لى لم تكن باطلة. بل أنا تعبت أكثر من جميعهم. ولكن لا أنا، بل نعمة الله التى معى" (اكو١٥: ١٠) .

فلا تنس كل هذه الإمكانيات ، وتقول طريق الصلاح صعب .

حقاً إن الباب الموصل إلى الملكوت هو باب ضيق (مت٧: ١٤) "وبضيقات كثيرة ينبغى أن ندخل ملكوت الله" (أع١٤: ٢٢). ولكن نعمة الله قادرة أن توصلنا إلى كمال الحياة مع الله. كما قال القديس بولس الرسول إلى رعاة كنيسة أفسس "والآن استودعكم يا أخوتى لله ولكلمة نعمته القادرة أن تبنيكم وتعطيكم ميراثاً مع جميع القديسين" (أع٢٠: ٣٢) .

★الرب يسوع المسيح نفسه معنا، يعيننا فى طريقه .

إنه يقول "ها أنا معكم كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر" (مت٢٨: ٢٠). ومادام يقول "بدونى لا تقدرون أن تعملوا شيئاً" (يو١٥: ٥). إذن اطلب منه القوة لكى تكون إنساناً

صالحاً. قل له: "توبنى فأتوب" (أر ٣١: ١٨) . ألم يقل : اطلبوا تجدوا. اقرعوا يفتح لكم" (مت٧: ٧) .

★أيضاً من أجل قيادتنا إلى الصلاح، أوجد الله فينا الضمير .

الضمير صوت من الله فينا: يحكم ويشرّع ، ويوبخ ويؤنب، ويقود إلى الخير، ويمنعنا من الخطأ. وإن استنار الضمير بالروح القدس الذى فيك، فإنه يكون مرشداً قوياً إلى الصلاح، ورادعاً عن الشر. هذا إذا أطاع الإنسان ضميره ...

ومن أجل الصلاح أيضاً ، اعطانا الرب الوصايا .

هذه التى يقول عنها داود النبى "وصية الرب مضيئة، تنير العينين عن بعد" (مز١٩) "وتصير الجاهل حكيماً" وأيضاً "سراج لرجلى كلامك، ونور لسبيلى" (مز١١٩: ١٠٥) . فالذى يحرص على أن يسلك فى طريق الصلاح، عليه أن يتمسك بكلمة الله التى تهديه. كما قال الله ليشوع بن نون "لا يبرح سفر هذه الشريعة من فمك. بل تلهج فيها نهاراً وليلاً، لكى تتحفظ للعمل بكل ما هو مكتوب فيه. لأنك حينئذ تصلح طريقك ، وحينئذ تفلح" (يش١: ٨) .

وهكذا يقول الرسول "لأن كل الكتاب موحى به من الله، ونافع للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذى فى البر. لكى يكون إنسان الله كاملاً، متأهباً لكل عمل صالح" (٢تى٣: ١٦، ١٧) .

★ومن أجل الصلاح، أرسل لنا الله الأنبياء والرعاة والمرشدين .

أرسل لنا الرسل، وأعطاهم خدمة المصالحة، لكى ينادوا أن اصطلحوا مع الله (٢كو٥: ١٨، ٢٠). وقال لنا "أطيعوا مرشديكم واخضعوا ، لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم" (عب١٣: ١٧). وأعطانا الله الآباء الروحيين، الرعاة والكهنة. كل هؤلاء لقيادتنا إلى الصلاح ...

★ومن أجل أن نشتاق إلى هذا الصلاح، قدّم لنا وعوداً جميلة .

"من يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة" "أن يأكل من المن المخفى" "من يغلب فسأعطيه إسماً جديداً" "ويلبس ثياباً بيضاء" "ويجلس معى فى عرشى، كما غلبت أنا وجلست مع أبى فى عرشه" (رؤ٢، ٣). وأيضاً وعدنا بما لم تره عين، ولم تسمع به أذن، ولم يخطر على قلب بشر" (١كو٢: ٩) .

★فإن لم ينفع معنا كل ما ذكرناه، أوجد الله العقوبة .

ذلك لأن هناك نوعاً من الناس لا يقودهم إلى الصلاح، إلا الخوف. على الأقل في بداية الطريق. كما قيل "بدء الحكمة مخافة الله" (أم٩: ١٠) . وكما قال الرسول "ارحموا البعض مميزين. وخلصوا البعض بالخوف، مختطفين من النار .." (يه٢٢، ٢٣) .

والعقوبة موجودة من بدء خلق الإنسان ، منذ خطيئة آدم وحواء (تك٣) . وله أمثلة كثيرة في العهد القديم. وفي العهد الجديد أيضاً مثلما حدث في خطية حنانيا وسفيرا الذي قيل بعد معاقبتهما "فصار خوف على جميع الكنيسة وعلى جميع الذين سمعوا بذلك" (أع٥: ١١) . ومثل معاقبة بولس الرسول لخاطئ كورنثوس (١كو٥: ٥). ليس إنتقاماً وإنما "لكي تخلص الروح في يوم الرب" .

نشكر الله أنه لم يأخذنا ، و نحن في ساعة غفلة، في خطايانا .

وإنما سمح أن نحيا حتى هذه اللحظة ، معطياً لنا فرصة حتى نتوب ونسلك في حياة صالحة كما ينبغي، ولا نقع تحت دينونة .. هوذا الرسول يقول "لا دينونة على الذين هم في المسيح يسوع، السالكين ليس حسب الجسد، بل حسب الروح" (رو٨: ١) . والسلوك حسب الروح هو الصلاح. أما السلوك حسب الجسد فهو الفساد. لذلك يقول الرسول أيضاً:

"**الذي يزرعه الإنسان ، إياه يحصد أيضاً . لأن من يزرع لجسده، فمن الجسد يحصد فساداً. ومن يزرع للروح، فمن الروح يحصد حياة أبدية" (غل٦: ٧، ٨)** .

هذا هو إذن ثمر الروح : صلاح هنا . وحياة أبدية في العالم الآخر . لأن ملكوت السموات لا يدخله إلا الصالحون . أورشليم السمائية لن يدخلها دنس ولا رجس (رؤ٢١: ٢٧) .





من ثمر الروح
٧
الإيمان

الذى يحيا حياة روحية ، لابد أن يتصف بالإيمان ..

فقد ورد فى الكتاب أن من ثمر الروح : الإيمان (غل٥: ٢٣) . وكما ذُكر الإيمان أيضاً ضمن مواهب الروح القدس (١كو١٢: ٩) .

ولسنا نقصد هنا الإيمان بمعناه السطحى أو النظرى .

فالإيمان بمعناه الروحى يشمل الحياة كلها ، كما سنرى .. هذا هو الإيمان العملى . أما الإيمان النظرى ، فيشبه إيمان الشياطين، كما قيل "أنت تؤمن أن الله واحد. حسناً تفعل. والشياطين يؤمنون ويقشعرون" (يع٢: ١٩) . يؤمنون بوجود الله ، ويقاومونه . ولهذا فإنهم يقشعرون منه ...

هناك إيمان فى العقيدة ، وإيمان فى ممارسات الحياة العملية ...

أشخاص يظنون أنهم مؤمنون ، لمجرد أنهم يتلون قانون الإيمان فى الكنيسة. وقد تكون حياتهم بعيدة كل البُعد عن الإيمان !!.. إنما الإيمان الحقيقى ، هو الذى يظهر واضحاً فى حياتنا العملية، فى ممارستنا ، فى علاقاتنا بالله والناس ...

هذا هو الإيمان العملى ...

فالإنسان يظهر إيمانه فى أعماله . كما يقول الكتاب "وأنا أريك بأعمالى إيمانى" (يع٢: ١٨) . ولذلك قيل فى الكتاب أكثر من مرة "الإيمان بدون أعمال ميت" (يع٢: ١٧، ٢٠) .

المطوب إذن هو الإيمان الحى المثمر :

إن كان إيمانك حياً، فلابد أن تظهر ثماره فى حياتك . "لأن كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً، تُقطع وتلقى فى النار" (لو٣: ٩). وهكذا يقول الرسول "لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة ، بل الإيمان العامل بالمحبة" (غل٥: ٦) . والمحبة عبارة عن برنامج روحى طويل، يضم فضائل عديدة ذكرها فى (١كو١٣) .

فكيف يظهر الإيمان وثمره فى حياتنا العملية ؟

هذا موضوع طويل ، يدخل فى تفاصيل حياتنا حتى يشمل حياتنا كلها . وكيف ذلك ؟ هذا ما نود الآن شرحه ، سواء من جهة مشاعر قلوبنا ، أو من جهة علاقاتنا مع الله والناس . ولنضرب لذلك أمثلة :

★إن كنت تؤمن أن الله فى كل مكان ويراك ويسمعك، لا يمكن أن تخطئ .

لأنك سوف تستحى وتخجل من الله الذى يراك وأنت فى حالة الخطية . بل تستحى أيضاً من الملائكة الذين يرونك ومن أرواح القديسين، كما تستحى أن تفعل الخطية أمام البشر الذين يرونك على الأرض .. فعدم خجلك يدل على أن إيمانك بوجود الله ورؤيته لك أثناء الخطية، هو إيمان ضعيف ، أو غير موجود ...

عكس ذلك يوسف الصديق الذى رفض أن يخطئ قائلاً : كيف أفعل هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله؟! (تك٣٩: ٩) .

★أيضاً الذى يؤمن بالله ورعايته وقوته العاملة ، لا يخاف فالخوف هو دليل على ضعف الإيمان ...

لذلك فإن بطرس الرسول ، لما خاف من الأمواج ووقع فى الماء، قال له الرب " يا قليل الإيمان ، لماذا شككت" (مت١٤: ٣١) .

وجيحزى كان خائفاً من قوات العدو المحيطة بالمدينة . أما معلمنا أليشع النبى فكان يرى أجناد الرب التى تدافع عنها، لذلك صلى من أجله قائلاً "افتح يارب عينىّ الغلام فيرى.." (٢مل٦: ١٧). نعم، بالإيمان يرى، وليس فقط بالعيان .. فيطمئن أن الذين معنا أكثر من الذين علينا ...

هذا الإيمان الذى لا يخاف ، قال عنه داود النبى فى مزمور الراعى "إن سرت فى وادى ظل الموت، لا أخاف شراً، لأنك أنت معى" (مز٢٢[٢٣]). وقال فى مزمور آخر "تقدمت فرأيت الرب أمامى فى كل حين، لأنه عن يمينى فلا أتزعزع" (مز١٦: ٨) .

نعم ، إن آمنت أن الرب معك فلن تخاف .

وإن آمنت أنه أمامك فى كل حين وأنه عن يمينك ، فلا تتزعزع. بل تقول مع المرتل "إن يحاربنى جيش، فلن يخاف قلبى. وإن قام علىّ قتال، ففى ذلك أنا مطمئن" (مز٢٧: ٣).

إن كثيرين – لعدم إيمانهم – ليسوا فقط يخافون ، بل يصل بهم القلق والإضطراب إلى حد اليأس .

★أما المؤمن فإنه يثق أن قوة الله معه ، ويثق بقول الكتاب :

"كل شئ مستطاع للمؤمن" (مر٩: ٢٤) .

حقاً إن هذه عبارة عجيبة ومعزية . أننا نؤمن أن الله هو الذى "يستطيع كل شئ ولا يعسرر عليه أمر" (أى٤٢: ١) . أما إن كل شئ مستطاع للمؤمن ، فهذا أمر عميق ومذهل، يعطينا فكرة عن قوة الإيمان وفاعليته ، ويذكرنا بقول القديس بولس الرسول :

"أستطيع كل شئ ، فى المسيح الذى يقوينى" (فى٤: ١٣) .

إذن الإيمان هو قوة . وهو يقوى الإنسان باستمرار، فلا يخاف ولا يضطرب ولا يقلق ولا ييأس . ومصدر قوته هو الله الذى يقويه . لذلك يقول المرتل فى المزمور "قوتى وتسبحتى هو الرب، وقد صار لى خلاصاً" (مز١١٧: ١٤) .

★ولهذا فإن الإيمان يصحبه السلام أيضاً : السلام الداخلى والسلام مع الله .

وهكذا يقول الرسول "إذ قد تبررنا بالإيمان، لنا سلام مع الله" (رو٥: ١). لنا سلام مع الله، إذ نؤمن أن الرب قد حمل كل خطايانا على الصليب، وأننا "متبررون الآن بدمه" "وقد صولحنا مع الله بموت ابنه" (رو٥: ٩، ١٠) . لأن "الله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه ، غير حاسب لهم خطاياهم" (٢كو٥: ١٩) .

★وبهذا الإيمان وهذا السلام ، يكون لنا الفرح .

لذلك فالمؤمنون دائماً فرحون .. فرحون لأنهم يؤمنون برعاية الرب لهم، ولأنهم يؤمنون أن هذا الله الذى يرعاهم هو قادر على كل شئ، وأنه اب حنون: فى احتياجهم يعطى، وفى توبتهم يغفر، وفى حمايتهم يقدر ويخلص .. حتى إن أصابتهم ضيقة، وبدأ من الخارج أنهم فى كرب ، يقولون مع الرسول "كحزانى ونحن دائماً فرحون" (٢كو٦: ١٠) . وهكذا يقول الرسول لهؤلاء المؤمنين "افرحوا فى الرب كل حين، وأقول أيضاً افرحوا" (فى٤: ٤) .

ألا يبدو أن ثمار الروح مترابطة ، الفرح والسلام والإيمان ..

★إن الإيمان ضد الشك . فالمؤمن لا يشك .

والشك يدل على ضعف الإيمان . والرب قد ربط بين الأمرين حينما قال للقديس

بطرس "يا قليل الإيمان ، لماذا شككت؟!" (مت ١٤: ٣١) .

ما أكثر ما يقع البعض فى الشك، لضعف إيمانهم !! قد يصلّون، ويخيل إليهم أن الله لم يستجب صلاتهم، أو تباطأ فى الإستجابة ... فيشكون . وقد يدركهم الشك فى محبة الله وفى رحمته ، إن وقعوا فى ضيقة ، أو فى مرض أو فى مشكلة أو إن مات أحد الذين يحبونه!

وقد يقع إنسان فى شك من جهة العقيدة ، إن قرأ كتاباً أو مقالاً ضد الإيمان ، وكان هو ضعيفاً فى إيمانه !

لذلك فالإيمان الحقيقى ، هو إيمان ثابت لا يتزعزع .

إيمان فى كل وقت ، وفى كل حين ، مهما كانت الظروف ، ومهما صادفته الضيقات أو المتاعب .. أنظروا ماذا يقول الرسول المختبر : "كونوا راسخين غير متزعزعين، مكثرين فى عمل الرب كل حين، عالمين أن تعبكم ليس باطلاً فى الرب" (اكو١٥: ٥٨). فلنتذكر هذه العبارة ونضعها أمامنا باستمرار: كونوا راسخين غير متزعزعين ...

لا نؤمن فقط بالله ، إنما أيضاً بعمل الله فينا ومعنا .

نؤمن أن الله دائماً يعمل . وأنه يعمل معنا كأفراد وجماعات . يعمل مع الكنيسة ومع المجتمع ومع العالم كله . ويعمل لخيرنا . وفى ذلك نؤمن بيد الله فى الأحداث . وأن "كل الأشياء تعمل معاً للخير، للذين يحبون الله" (رو٨: ٢٨). وهذا الإيمان يمنحنا سلاماً واطمئناناً.

ومع ذلك ، فالإيمان على درجات .

ليست درجة الإيمان واحدة عند كل الناس. ولا درجة الإيمان واحدة عند نفس الشخص فى كافة مراحل حياته فقد يقوى حيناً، ويضعف فى حين آخر . وإيمان المبتدئين غير إيمان الكاملين . إن أبا الرجل المصروع من الشيطان، لما سأله الرب عن إيمانه أجاب : "أؤمن يا سيد، أعن عدم إيمانى" (مر٩: ٢٤) .

وهناك إيمان قوى يصنع المعجزات . وإيمان كامل قال عنه الرسول "إن كان لك كل الإيمان حتى تنقل الجبال.." (اكو١٣: ٢٠).. على أن الإيمان كأية فضيلة يمكن أن ينمو وأن يقوى .. إن بطرس الرسول الذى ضعف إيمانه أمام جارية أثناء محاكمة المسيح (مت٢٦: ٧٠) .عاد فقوى إيمانه بعد حلول الروح القدس . وقال بكل شجاعة "ينبغى أن

يُطاع الله أكثر من الناس" (أع٥: ٢٩) .

لقد عرّف الرسول الإيمان بأنه الثقة بما يُرجى، والإيقان بأمور لا ترى" (عب١١: ١)

فنحن نؤمن بوجود الله، والله لا يُرى ونؤمن أيضاً بوجودالملائكة ، ووجود الأرواح، وكلها كائنات لا تُرى بعيوننا المجردة. وهذا هو الفرق بين الإيمان والعيان .. كذلك نحن نؤمن بالنعم غير المنظورة التى ننالها من خلال أسرار الكنيسة المقدسة، وكلها أمور لا تُرى . ومع ذلك نحن نوقن بذلك كل الإيقان .

على أن للإيمان علامات تظهره وتدل عليه .

فالمؤمن إنسان بعيد عن الكبرياء والتعالى . لأن الذى يؤمن بوجود الله، لا يستطيع أن يسلك فى كبرياء أمام الله ، بل يدرك يقيناً أنه مجرد تراب ورماد (تك١٨: ٢٧) .

ومن هنا كان خشوع المؤمن فى صلاته .

وكذلك ما فى الصلاة من ركوع وسجود ، وما يسميه القديسون "الزى الحسن فى الصلاة" حيث يقف وكأنه أمام عمود من نار . وهكذا نقول فى القداس الإلهى "قفوا بخوف أمام الله، وانصتوا لسماع الإنجيل المقدس" "اسجدوا لله بخوف ورعدة" ...

أما الذى يقف متخاذلاً متكاسلاً فى صلاته ، يلتفت أثناءها هنا وهناك، أو يسرح فى أمور عديدة ، فهذا يدل على أنه غير مؤمن أنه واقف أمام الله ...

كذلك هناك فرق بين صلاة بإيمان ، وصلاة بغير إيمان .

المؤمن يثق تماماً أن صلاته قد وصلت إلى الله، وأن الله قد سمعها وأنه سوف يستجيب. ويؤمن أن الله لابد سيعمل . وهكذا نرى أن داود النبى تبدأ بعض مزاميره بالطلب، بينما تنتهى بعبارات الاستجابة . فنراه مثلاً يختم المزمور السادس بعبارات يقول فيها "ابعدوا عنى يا جميع فاعلى الإثم. لأن الرب قد سمع صوتى بكائى. الرب سمع تضرعى. الرب لصلاتى قبل" (مز٦) .

نقط أخرى نقولها فى علامات الإيمان ودلالاته :

أنت تؤمن أن الله هو الحق ، كما يقول "انا هو الطريق والحق والحياة" (يو١٤: ٦). فهل تؤمن بالحق مادمت تؤمن بالله؟

إن كنت تؤمن بالحق ، لأنك تؤمن بالله الذى هو الحق ، فهل تسلك فى الحق ، وهل تدافع عن الحق .

إن السلوك فى الباطل هو لون من ضعف الإيمان بالله لأن البعد عن الحق هو البعد عن الله .

كذلك الذى يؤمن بأن الله هو النور (يو٨: ١٢) . فهل تؤمن بالنور، أم تسلك فى الظلمة؟! كيف تعيش فى الظلمة بينما أنت تؤمن بالنور؟! والرب يقول "أنا هو نور العالم. من يتبعنى، فلا يسلك فى الظلمة" (يو٨: ١٢) .

كذلك إن كنت تؤمن بالأبدية، فلابد أن تستعد لها .

ومادمت تستعد، فلا يمكن أن تشتهى الأمور التى فى هذا العالم، لأن "محبة العالم عداوة لله" كما يقول الكتاب (يع٤: ٤) . "إن أحب أحد العالم، فليست فيه محبة الآب" (١يو٢: ١٥) . إذن فالذى يسلك فى محبة العالم وشهواته ، ليس هو مؤمناً بالحقيقة . وإلا كان متناقضاً مع نفسه .

كذلك إن كنت تؤمن بأن جسدك هو هيكل الله، فهل من المعقول أن تنجسه وتدنسه؟!

يقول الرسول "أما تعلمون أنكم هيكل الله، وروح الله يسكن فيكم. إن كان أحد يفسد هيكل الله، فسيفسده الله، لأن هيكل الله مقدس، الذى هو أنتم" (١كو٣: ١٦، ١٧) ويقول أيضاً "أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم، الذى لكم من الله، وأنكم لستم لأنفسكم" (١كو٦: ١٩) .

إذن فالذى يفسد جسده، لا يؤمن أن جسده هو هيكل الله. ولا يؤمن أن الروح القدس ساكن فيه . وبنفس المنطق من يفسد جسد مؤمنة هى أيضاً هيكل للروح القدس .

من هنا نرى أن كلمة الإيمان لها معنى كبير وواسع ، يشمل الحياة كلها . ولهذا يقول الرسول :

"اختبروا أنفسكم هل أنتم فى الإيمان. امتحنوا أنفسكم" (٢كو١٣: ٥) .

ومن الوسائل التى يُختبر بها الإيمان الضيقة :

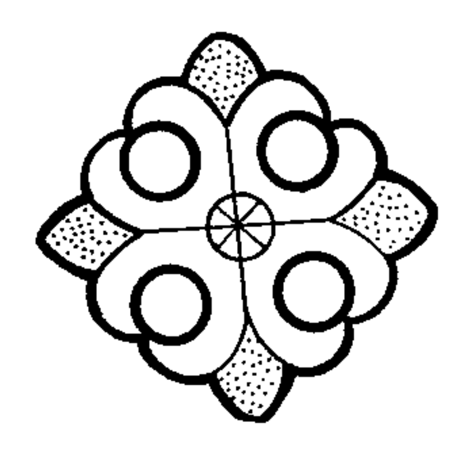
فهناك أشخاص يضعف إيمانهم أو يضيع فى الضيقة . بينما غيرهم يثبتون فى الإيمان على الرغم من الضيقات . مثال ذلك القديسون الشهداء والمعترفون الذين تعرضوا لكل ألوان التعذيب ولكنهم ثبتوا فى إيمانهم ، وتعرضوا للإيذاء وللتهديد وظلوا ثابتين فى إيمانهم .

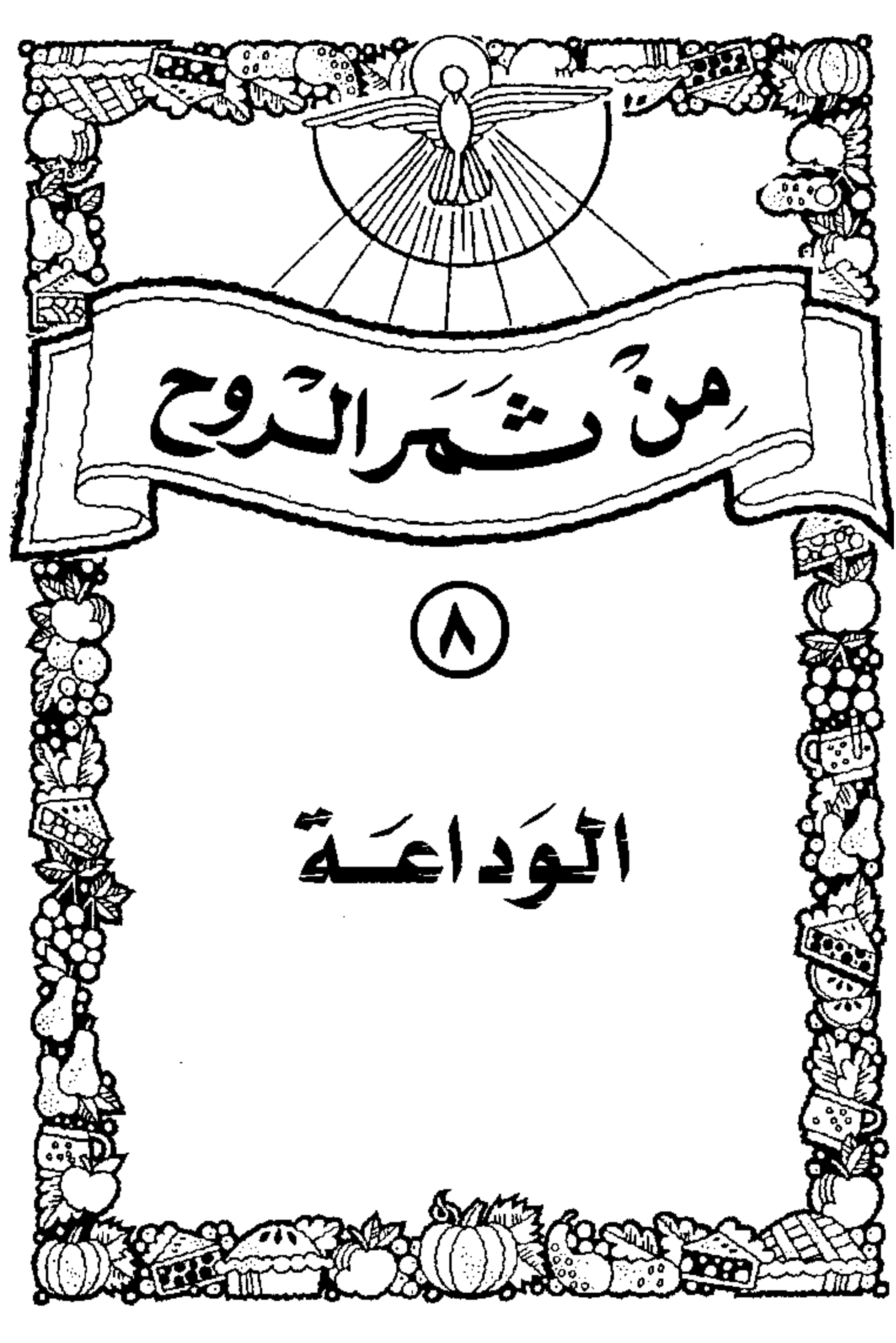
وكما يختبر الإيمان فى الضيقة، كذلك يختبر بالشكوك .

فالذين وضعوا أرجلهم فى البحر الأحمر وعبروا ، ما كان عندهم شك ، بينما المياه والأمواج كانت تحيطهم من الجانبين (خر ١٤) .

الإيمان القوى ينتصر على كل الشكوك التى تحاربه . وهكذا فإن الكنيسة القوية اجتازت فترات الهرطقات الشديدة خلال القرنين الرابع والخامس للميلاد . فحرمت الهرطقات وخرجت منها بإيمان سليم .

نرجو من الرب أن يثبتنا فى الإيمان الذى ينبع من أرواح قوية ، تنتصر فى كل حروب الإيمان .




مِنْ ثَمَرِ الرُّوح
٨
الوَداعَة

تطويب الوداعة

★ما أجمل الوداعة . إنها من ثمار الروح (غل٥: ٢٣) . وقد جعلها الرب فى مقدمة التطويبات ، فقال :

"طوبى للودعاء ، لأنهم يرثون الأرض " (مت٥: ٥) .

وقد فسّر بعض الآباء عبارة "يرثون الأرض" هنا، بأن المقصود بها أرض الأحياء، كما ورد فى المزمور "وأنا أؤمن أن أعاين خيرات الرب فى أرض الأحياء" (مز٢٧: ١٣).. كما أنه يمكن أن يضاف إلى ذلك أرضنا الحالية . لأن الشخص الوديع يكون غالباً محبوباً من الجميع على هذه الأرض أيضاً . فيكسب الأرض هنا، وأرض الأحياء هناك .

★ومن أهمية الوداعة ، أن الرب دعانا أن نتعلمها منه ، فقال :

"تعلموا منى ، لأنى وديع ومتواضع القلب" (مت١١: ٢٩) .

كان يمكن أن يدعونا لأن نتعلم منه الكرازة والتعليم والخدمة، والحب، الرحمة، والحكمة فى التصرف .. بل كل فضيلة وكمال، إذ تتمثل فيه كل الكمالات والفضائل . ولكنه ركز على الوداعة والتواضع ، وقال لمن يتعلمونها "فتجدون راحة لنفوسكم" . ألا يدل هذا على أهمية خاصة للوداعة فى حياة الناس ؟..

ومن أهمية الوداعة ، أن الكنيسة تضعها أمامنا فى بدء صلوات النهار .

فتضع أمامنا فى بدء صلوات باكر ، فى مقدمتها قبل المزامير ، جزءاً من رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل أفسس، يقول فيها "أطلب إليكم أنا الأسير فى الرب، أن تسلكوا كما يليق بالدعوة التى دُعيتم إليها: بكل تواضع القلب والوداعة وطول الأناة، محتملين بعضكم بعضاً بالمحبة.." (أف٤: ١، ٢). إذن هى فى مقدمة السلوك الروحى المسيحى.

ومن النصين السابقين نرى ارتباط الوداعة بالتواضع .

★**وقد اهتم الآباء الرسل بالحديث عن الوداعة فى المعاملات :**

فقال القديس بولس الرسول "أيها الأخوة، إن انسبق إنسان فأخذ فى زلة، فاصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة، ناظراً إلى نفسك لئلا تُجرب أنت أيضاً.." (غل٦: ١)

وقال القديس يعقوب الرسول "من هو حكيم وعالم بينكم، فليرِ أعماله بالتصرف الحسن فى وداعة الحكمة.." (يع٣: ١٣) . وشرح كيف أن هذه الوداعة الحكيمة تكون بعيدة عن التحريف والتشويش، وعن الغيرة المرة وكل أمر ردئ .

والقديس بطرس الرسول عندما تحدث عن الزينة، ذكر "زينة الروح الوديع الذى هو قدام الله كثير الثمن" (١بط٣: ٤) .

وقال القديس بطرس أيضاً "مستعدين فى كل حين، لإجابة كل من يسألكم عن سر الرجاء الذى فيكم، بوداعة وخوف" (١بط٣: ١٥) .

★**وقد كانت الوداعة هى سمة المسيحيين منذ البدء .**

حتى أنه كما قيل عن تاريخ الكنيسة فى العصر الرسولى فى القرن الأول : إنه حينما كان أحد الوثنيين يقابل زميلاً له ، ويجده وديعاً بشوشاً هادئاً، يقول له "لعلك قابلت مسيحياً فى الطريق" . ويقصد بذلك إن لقاءه مع أحد المسيحيين فى وداعته ، كان بالتأثير يطبع الوداعة على وجهه .

★**ولعل من أهمية الوداعة ، مدح الكتاب للودعاء :**

حيث يقال فى المزامير "يسمع الودعاء فيفرحون" (مز٣٤: ٢) . وأيضاً "أما الودعاء فيرثون الأرض، ويتلذذون فى كثرة السلامة" (مز٣٧: ١١) . وقد قيل كذلك "الرب يرفع الودعاء، ويذل الخطاة إلى الأرض" (مز١٤٧: ٦) "يدرب الودعاء فى الحق، ويعلم الودعاء طرقه" (مز٢٥: ٩) .

إن عرفنا كل هذا المديح للوداعة والودعاء ، فليتنا نتأمل معاً : ما هى الوداعة؟ وما هى صفات الشخص الوديع :

صفات الوديع

الإنسان الوديع هو الإنسان الطيب المسالم .

وكثير من الناس يستخدمون صفة (الطيب) بدلاً من صفة (الوديع) . وهو بهذا يكون

إنساناً هادئاً بعيداً عن العنف .

هو إنسان هادئ في كل شئ .

الوديع هادئ فى طبعه ، هادئ الأعصاب ، هادئ الألفاظ ، هادئ الملامح ، هادئ الحركات . الهدوء يشمله كله داخلياً وخارجياً . فهو هادئ فى قلبه ومشاعره ،وهو هادئ فى تعامله مع الآخرين ... هو إنسان حليم . كما قيل عن موسى النبى "وكان الرجل موسى حليماً جداً، أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض" (عد١٢: ٣) .

وهدوء الوديع يكون فى صوته أيضاً .

فهو يبعد عن الصوت العالى ، وعن الصوت الحاد . لا يكون شديد الألفاظ، ولا شديد اللهجة . وقد قيل عن إلهنا الوديع ، حينما قابل إيليا النبى ، أثناء هرب إيليا من الملكة الظالمة إيزابل : هبت عاصفة شديدة، ولم يكن الرب فى العاصفة . ثم زلزلة ، ولم يكن الرب فى الزلزلة . ثم نار، ولم يكن الرب فى النار . ثم إذا "صوت منخفض خفيف" (١مل١٩: ١١- ١٣)، وكان الرب يتكلم . فقال له "مالك ههنا يا إيليا؟"

هذا الصوت المنخفض الخفيف هو بعض ما يتصف به الوديع .

★ولذلك قيل عن السيد المسيح فى وداعته :

"لا يخاصم ولا يصيح . ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته . قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة مدخنة لا يطفئ" (مت١٢: ١٩، ٢٠) .

هكذا يكون الوديع ، بعيداً عن الصخب والضوضاء . لا يصيح ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته .. حينما يتكلم يتصف كلامه بالهدوء واللطف، كأنما قد اختار كل ألفاظه، بكل دماثة وأدب. لا يجرح بها شعور أحد، مهما كانت دمغته . حتى إن كان أمام "فتيلة مدخنة" لا يطفئها.. ربما تمر عليها ريح فتشعلها ...

يعمل كل ذلك : لا عن ضعف ، وإنما عن لطف .

يذكرنى هذا بقصيدة : أنشدتها فىالأرشيدياكون حبيب جرجس ، فى يوم الأربعين لوفاته سنة ١٩٥١م قلت فيها :

يا قوياً ليس فى طبعه عنفٌ .:. ووديعاً ليس فى ذاته ضعفُ
يا حكيماً أدّب الناس وفى .:. زجره حبٌ، وفى صوته عطفُ
لك أسلوب نزيه طاهرٌ .:. ولسانٌ أبيض الألفاظ عفُّ

لم تنل بالــذم مخلوقاً ولــم .:. تذكر الســوء إذا ما حلّ وصـفُ
إنما بالحب والتشجيع قـــد .:. تصلح الأعوجَ، والأكدرُ يصفــو

✠ ✠ ✠

الإنسان الوديع بعيد عن العنف وعن الغضب .

هو إنسان هادئ ، لا يثور ولا يُثار . لا يغضب بسرعة ولا ببطء . ولا ينفعل الانفعالات الشديدة ، ولا تغلبه النرفزة (العصبية)، لأنه باستمرار هادئ ، في أعصابه وفي ملامحه ، التي تتصف بالطيبة والبشاشة . إنه لا ينتقم لنفسه . ولا يحل مشاكله بالعنف. بل إن أساء أحد إليه، يقابل ذلك بالإحتمال والصبر .

انظروا كيف قيل عن السيد المسيح أثناء محاكمته وقيادته للصلب : "كشاةٍ تُساق إلى الذبح، وكنعجة صامتة أمام جازّيها . فلم يفتح فاه" (أش٥٣: ٧). وكما قال بولس الرسول عن نفسه وعن زملائه في الخدمة : نُشتم فنبارك. نُضطهد فنحتمل. يفترى علينا فنعظ" (١كو٤: ١٢، ١٣) .

الإنسان الوديع لا يقيم نفسه رقيباً على الناس .

لا يقيم نفسه قاضياً ، ولا يتدخل في أعمال غيره . لا يعطي نفسه سلطة مراقبة الآخرين والحكم على أعمالهم . لا يدين أحداً، ولا يحكم على أحد . وإن أضطرته الضرورة إلى الحكم، لا يقسو في أحكامه .

وقد يغلبه الحياء، فلا يرفع بصره ليملأ عينيه من وجه إنسان .

لا يفحص ملامح شخص ، ليحكم منها على مشاعره ماذا تكون .. أو ما مدى صدقه في كلامه . إن حورب بذلك يقول لنفسه "وأنا مالي. خلّيني فيحالي" . هو بطبيعته الوديعة لا يميل إلى فحص أعمال الناس .

وإن تدخل في الإصلاح ، يصلح بهدوء ووداعة ورقة .

حسبما قال الرسول "..اصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا" (غل٦: ١) .

★وهكذا فعل السيد المسيح في وداعته مع المرأة السامرية (يو٤) .

لم يجرح شعورها بكلمة واحدة ، ولم يبكتها. بل اجتذبها إلى الإعتراف في وداعة ولطف . ووجد فيها شيئاً يمتدحه "حسناً قلتِ إنه ليس لك زوج.. هذا قلتِ بالصدق" (يو٤: ١٧، ١٨) . وبهذه الوداعة أمكنه أن يجتذبها إلى التوبة، وإلى الإيمان أنه المسيح، وتبشير أهل مدينتها بذلك" (يو٤: ٢٩) .

وفى وداعة أيضاً تصرف مع المرأة الخاطئة المضبوطة فى ذات الفعل .. لم يبكتها . بل أنقذها من الذين أرادوا رجمها. فلما أنصرفوا قال لها "أين هم أولئك المشتكون عليك؟ أما دانك أحد؟ .. ولا أنا أدينك . اذهبى ولا تخطئى أيضاً" (يو٨: ١٠، ١١) .

★**وبنفس الوداعة عاتب بعد القيامة تلميذه بطرس .**

ذلك الذى أنكره ثلاث مرات ، وحلف ولعن وقال لا أعرف الرجل (مت٢٦: ٧٤).. فقال له الرب ثلاث مرات: أتحبنى أكثر من هؤلاء ؟ .. ومعها ثلاث مرات ثبته فى عمل الرعاية ، بقوله له : "ارع غنمى .. إرع خرافى" (يو٢١: ١٥- ١٧) .

وبنفس الوداعة ، قابل نيقوديموس ليلاً .

ولم يوبخه على "خوفه من اليهود" .. بل أتاه ليلاً حتى لا ينكشف أمره لهم .. وبهذه الوداعة التى تنازل بها إلى ضعفه ... اقتاده فيما بعد إلى أن يجاهر بالإشتراك فى تكفين المسيح بعد صلبه ...

✠ ✠ ✠

الإنسان الوديع سهل التعامل مع الناس .

يستطيع كل شخص أن يأخذ معه ويعطى .

إنه سهل فى نقاشه وحواره . لا يحتد ولا يشتد . ولا يستاء من عبارة معينة يقولها محاوره . فيشعر المتناقش معه براحة مهما كان معارضاً له . يعرف أنه سوف لا يغضب عليه ، وسوف لا يحاسبه على ما يقول . ولعل أفضل الأمثلة على ذلك :

حوار الرب - فى وداعته - مع ابراهيم ، ومع موسى :

★من فرط وداعته استطاع أبونا ابراهيم أن يناقشه فى موضوع حرق سادوم، ويقول له "أديان الأرض كلها لا يصنع عدلاً؟! أتهلك البار مع الأثيم؟! عسى أن يكون فى المدينة خمسون باراً.. حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر: أن تميت البار مع الأثيم، فيكون البار كالأثيم!! حاشا لك" (تك١٨: ٢٣- ٢٥) . ويصبر الرب على هذه العبارات، ولا يعاتبه . بل يقول له فى وداعته "إن وجدت فى سادوم خمسين باراً، فإنى أصفح عن المكان كله من أجلهم؟ . ويستمر معه فى الحوار حتى يصل العدد إلى عشرة .

★وبنفس الوداعة ، لما عبد الشعب العجل الذهبى وأراد الله أن يفنيهم، سمح لموسى أن يقول له : أرجع يارب عن حمو غضبك، واندم على الشر بشعبك .. لماذا يقولون أخرجهم بخبث (من أرض مصر) ليفنيهم فى الجبال ويهلكهم؟!" (خر٣٢: ١١، ١٢) .

سمح الله لموسى أن يتكلم هكذا . وفى وداعة استجاب لطلبته ولم يفنهم !

من منا يحتمل من أحد خدامه أن يقول له : ارجع عن حمو غضبك، واندم على الشر؟! ولكنه الله الوديع ...

الإنسان الوديع حليم ، واسع الصدر ، طويل البال .

كما وُصف بذلك موسى النبى (عد١٢: ٣) . حتى أنه حينما تقولت عليه أخته مريم، ووبخها الله وعاتبها ، تشفع فيها موسى وهو فى موقف المساء إليه منها "وصرخ إلى الرب قائلاً "اللهم اشفها" (عد١٢: ١٣) ومن الأمثلة الجميلة أيضاً أن ما قيل عن سليمان الحكيم أن الرب منحه رحبة قلب كالرمل الذى على شاطئ البحر (١مل٤: ٢٩) .

✠ ✠ ✠

والوديع إنسان بشوش ، لا يعبس فى وجه أحد .

له ابتسامة حلوة محببة إلى الناس ، وملامح سمحة مريحة لكل من يتأملها . لا تسمح له طبيعته الهادئة أن يزجر أو يوبخ أو يحتد ويشتد . أو أن يغيّر صوته فى زجر إنسان .

ومهما عومل ، لا يتذمر ولا يتضجر ولا يشكو .

بل غالباً ما يلتمس العذر لغيره ، ويبرر فى ذهنه مسلكه، ولا يظن فيه سوءاً ، وكأن شيئاً لم يحدث . فلا يتحدث عن إساءة الناس إليه . ولا يحزن بسبب ذلك فى قلبه . فإن تأثر لذلك أو غضب، سرعان ما يزول ذلك ، ولا يتحول حزنه أو غضبه إلى حقد.. بل سرعان ما يصفو ...

الوديع يتميز بأنه بطئ الغضب .

كما قال معلمنا يعقوب الرسول "ليكن كل إنسان مسرعاً إلى الإستماع، مبطئاً فى التكلم، مبطئاً فى الغضب . لأن غضب الإنسان لا يصنع بر الله" (يع١: ١٩) . وما أكثر ما قيل عن إلهنا الوديع إنه بطئ الغضب" (يون٤: ٢) ، وإنه "طويل الروح، وكثير الرحمة" (مز١٠٣: ٨) .

كذلك فإن الوديع لا يغضب لأى سبب .

إذا غضب الوديع، فاعرف أنه لابد من أمر خطير دعاه إلى ذلك . وغالباً ما يكون غضبه لأجل الرب، ليس لأجل نفسه، أو بسبب كرامته أو حقوقه كما يفعل غير الودعاء.

وإذا غضب ، لا يثور ولا يفقد أعصابه . إنما غضبه عن عدم موافقته وعدم رضاه . فالوديع أعصابه هادئة ، لا ينفعل بسرعة . وإذا انفعل لا يشتعل .

والوديع إنسان مسالم ، لا ينتقم لنفسه .

لا يقاوم الشر، كما أمر الرب (مت٥: ٣٩) . أى لا يقابل الشر بمثله . وإنما هو كثير الإحتمال . لا يدافع عن نفسه ، بل غالباً ما يدافع عنه غيره موبخين من يسئ إليه بقولهم "ألم تجد سوى هذا الإنسان الطيب لتسئ إليه؟!" .

الإنسان الوديع لا يؤذى أحداً ، ويحتمل الأذى من المخطئين .

وله سلام فى داخله ، فلا ينزعج ولا يضطرب .

كل المشاكل الخارجية لا تعكر صفوه الداخلى ، قال ماراسحق : "سهل عليك أن تحرك جبلاً من موضعه. وليس سهلاً عليك أن تثير إنساناً وديعاً" .

وهو لا يصطنع الهدوء. إنما كما خارجه، هكذا داخله أيضاً . إنه كصخرة أو جندل فى نهر . مهما صدمت الأمواج تلك الصخرة، تبقى كما هى لا تتزعزع .

كثيراً ما نرى الودعاء يصبرون ولا يدافعون عن حقوقهم .

ومن أمثلة ذلك داود النبى ، الذى قيل عنه فى المزمور "اذكر يارب داود وكل دعته" (مز١٣٢: ١).. لقد مسحه صموئيل النبى ملكاً (١صم١٦: ١٣). ثم ذهب إلى الرامة، ولم يسلمه من الملك شيئاً! وبقى داود ملكاً بلا مملكة، وعاد يرعى الغنيمات القليلات فى البرية. ثم اختير ليخدم الملك شاول الذى كان عليه روح نجس: يعزف له على العود لكى يهدأ.. ثم حسده شاول واضطهده اضطهاداً شديداً. وكان يطارده من برية إلى أخرى لكى يقتله.

كل ذلك وداود الوديع صابر ويحتمل . ولم يطالب خلال ذلك بحقوقه كملك ممسوح . ولم يتذمر . ولم يقل يوماً لصموئيل النبى : أين تلك المسحة التى مسحتنى بها؟ وأين الملك الذى أعطيتنى إياه .. وبقى على هذه الحال حوالى ١٥ سنة ، حتى مات شاول .

الوديع بعيد عن المجادلة والمحارنة .

كما قال الكتاب "افعلوا كل شئ بلا دمدمة ولا مجادلة" (فى٢: ١٤) . ويقصد بالمجادلة هنا : (المقاوحة فى الكلام) أو المحارنة .. ذلك لأن الوديع لا يجاهد لكى يقيم كلمته، ولكى ينتصر فى المناقشات . إنما هو يبدى رأيه ويثبته ، وليقبله من يشاء متى يشاء ، دون أن يدخل فى صراع جدلى أو فى حرب كلامية . فهذا ضد هدوئه .

الوديع لا يوجد فى تفكيره خبث ولا دهاء ولا تعقيد

لا يقول شيئاً ، وفى نيته شئ آخر . بل الذى فى قلبه ، على لسانه . وما يقوله لسانه،

إنما يعبر عن حقيقة ما في قلبه . ليس عنده التواء . ولا يدبر خططاً في الخفاء . هو إنسان واضح ، يتميز بالصراحة . يمكن لمن يتعامل معه أن يطمئن إليه . إنه بسيط، لا حويط ، ولا غويط ...

إنه يمر على الحياة ، كما يمر النسيم الهادئ على سطح الماء .

لا يُحدث في الأرض عاصفة ولا زوبعة ، ولا يُحدث في البحر أمواجاً ولا دوامات . ولا يحب أن يحيا في جو فيه زوابع ودوامات . إن كل ذلك لا يتفق مع طبعه ، ولا مع هدوئه، ولا مع لطفه ... ولا مع أسلوبه في الحياة . لذلك فإن كل من يعاشره ، يلتذ بعشرته . فهو طيب هادئ، لا يصطدم بأحد، ولا يزاحم غيره في طريق الحياة . وإن صادف مشاكل، فإنه يمررّها ، ولا يدعها تمررّه ...

✠ ✠ ✠

هناك نوعان من الودعاء . أحدهما وُلد هكذا . والثاني اكتسب الوداعة بجهاد وتداريب ، وبعمل النعمة فيه .

من النوع الأول ، القديس بولس البسيط . ومن النوع الثاني : القديس موسى الأسود، الذي كان في بدء حياته قاسياً وعنيفاً ، بل قاتلاً أيضاً . وعندما أتى إلى الدير للتوبة، خافه الرهبان أولاً. ولكنه بدأ يدرب نفسه ، حتى تحول إلى إنسان وديع طيب ، محب للأخوة، خدوماً ومضيافاً . وصار مرشداً لكثيرين ...

✠ ✠ ✠

على أنه في حديثنا عن الوداعة ، لا يفوتنا أن ننسى ما يعطلها .

أحياناً تقف ضدها الرئاسة والسلطة . فما أن يصير البعض رئيساً، ويمارس الأمر والنهي، والتحقيق والمعاقبة ، ومراقبة الآخرين وتصريف أمورهم .. حتى يفقد وداعته ، ويرى في الحزم والعزم والحسم ، ما يبرر له العنف أحياناً ، ويفقده وداعته وبساطته.

ولكن مغبوط هو الذي يحتفظ بالوداعة فيما يمارس عمل السلطة .

كذلك من يكون عمله هو حفظ النظام. وقد يجد نفسه في بعض الأوقات أمام جماعة من المشاغبين، أو من الذين تمنعهم كبرياؤهم من الخضوع لأي نظام. كيف يسلك مع هؤلاء؟ .. طبعاً هناك من يحفظ النظام في رقة ولطف . وهناك من يستخدم العنف في حفظه...

هَل تتنافى الوداعة مَع الشجَاعة والشهامة ؟!

الوداعة هى الطيبة واللطف والهدوء ، كما سبق وقلنا ...

ولكن المشكلة هى أن البعض قد يفهم الوداعة فهماً خاطئاً . وكأن الوديع يبقى بلا شخصية ولا فاعلية، وكأنه جثة هامدة لا تتحرك !! بل قد يصبح مثل هذا الوديع هزأة يلهو بها الناس !!

ويتحول هذا (الوديع) إلى إنسان خامل ، لا يتدخل فى شئ!

كلا ، فهذا فهم خاطئ للوداعة ، لا يتفق مع تعليم الكتاب ، ولا مع سير الآباء والأنبياء.. حقاً إن الإنسان الوديع هو شخص طيب وهادئ . ولكن هذه هى أنصاف الحقائق .

النصف الآخر من الحقيقة أن الوداعة لا تتعارض مع الشهامة والشجاعة والنخوة ، وإنما لكل شئ تحت السموات وقت (جا٣: ١) .

نعم ، هكذا قال الكتاب . وقال أيضاً "للغرس وقت. ولقلع المغروس وقت .. للسكوت وقت ، وللتكلم وقت.." . المهم أن يعرف الوديع كيف يتصرف ، ومتى ؟ ..

ولقد سئل القديس الأنبا أنطونيوس عن أهم الفضائل : هل هى الصلاة، الصوم، الصمت.. إلخ فأجاب عن أهم فضيلة هى الإفراز، أى الحكمة فى التصرف، أو تمييز ما ينبغى أن يُفعل .

فالطيبة هى الطبع السائد عند الوديع . ولكن عندما يدعوه الموقف إلى الشهامة أو الشجاعة أو الشهادة للحق ، فلا يجوز له أن يمتنع عن ذلك بحجة التمسك بالوداعة ...

لأنه لو فعل ذلك، وامتنع عن التحرك نحو الموقف الشجاع، لا تكون وداعته حقيقية ، إنما تصير رخاوة فى الطبع ، وعدم فهم للوداعة ، وعدم فهم للروحانية بصفة عامة . فالروحانية ليست تمسكاً بفضيلة واحدة تُلغى معها باقى الفضائل . إنما الروحانية هى كل الفضائل معاً، متجانسة ومتعاونة فى جو من التكامل ...

وأمامنا مثلنا الأعلى السيد المسيح له المجد :

كان وديعاً ومتواضع القلب (مت١١: ٢٩) "قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة مدخنة لا يطفئ" (مت١٢: ٢٠) .. ومع ذلك :

فإنه لما رأى اليهود قد دنسوا الهيكل ، وهم يبيعون فيه ويشترون، "أخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل، وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام. وقال لهم: مكتوب بيتي بيت الصلاة يُدعى ، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص" (مت٢١: ١٢، ١٣) (يو٢: ١٤- ١٦) .

أكان ممكناً للسيد المسيح - باسم الوداعة - أن يتركهم يجعلون بيت الآب بيت تجارة؟! أم أنه مزج الوداعة بالغيرة المقدسة، كما فعل "فتذكر تلاميذه أنه مكتوب : غيرة بيتك أكلتني" (يو٢: ١٦، ١٧) .

وكما قام المسيح الوديع بتطهير الهيكل ، هكذا وبخ الكتبة والفريسيين .

حقاً ، لكل أمر تحت السموات وقت . للهدوء وقت، وللغيرة وقت، للسكوت وقت، وللتعليم وقت. وقد كان الكتبة والفريسيون يضلون الناس بتعليمهم الخاطئ. فكان على المعلم الأعظم أن يكشفهم للناس، ولا يبقيهم جالسين على كرسي موسى في المجتمع المسيحي الجديد. فقال لهم "ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون. لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس. فلا تدخلون أنتم، ولا تدعون الداخلين يدخلون" (مت٢٣: ١٣) .

هل كان ممكناً باسم الوداعة أن يتركهم يغلقون أبواب الملكوت؟!

الوداعة فضيلة عظيمة ، ولكننا نراها هنا ترتبط بالغيرة المقدسة، وترتبط بالشهادة للحق، ومثالنا هو المسيح نفسه .

والشهادة للحق أمر هام يريده الله . ولعل أهميته تظهر من قول الله على لسان أرميا النبي في العهد القديم "طوفوا في شوارع أورشليم، وأنظروا وأعرفوا وفتشوا في ساحاتها: هل تجدون إنساناً أو يوجد عامل بالعدل طالب الحق، فاصفح عنها" (أر٥: ١) . وقال الرب لتلاميذه ".. تكونون لي شهوداً" (أع١: ٨) .

فهل الوداعة تمنع الشهادة للحق ؟! حاشا . أمامنا بولس الرسول كمثال :

نرى ذلك في موقفه من القديس بطرس لما سلك في الأكل مع الأمم مسلكاً رآه بولس الرسول مسلكاً ريائياً.. فقال القديس بولس في ذلك "قاومته مواجهة لأنه كان ملوماً.. وقلت لبطرس قدام الجميع : إن كنت وأنت يهودي تعيش أممياً لا يهودياً، فلماذا تلزم الأمم

أن يتهودوا؟!" (غل٢: ١١، ١٤) .

فعل هذا بولس الوديع ، الذى فى توبيخـه لأهل كورنثوس، قـال لهـم "اطلـب إليكـم – بوداعة المسيح وحلمه – أنا نفسى بولس ، الذى هـو فـى الحضـرة ذليل بينكم، وأمـا فـى الغيبة فمتجاسر عليكم" (٢كو١٠: ١) .. هذا الوديع الذى يقف أمام أبنائه الروحيين كذليل فى حضرتهم ، معتبراً توبيخه لهم تجاسراً عليهم !! .. هذا نفسه يرى وقت الضـرورة أن يوبخ بطرس الرسول الذى هو أقدم منه فى الرسولية وأكبر منه سناً .

ولكنه هنا يمزج الوداعة بالشهادة للحق ...

ففضيلة الوداعة لا يجوز لها أن تعطل الفضائل الأخرى .

أمامنا مثل آخر هو ابرام (ابراهيم) أبو الآباء ، فى مزج الوداعة بالشهامة والنخوة.

لاشك أن أبا الآباء ابراهيم كان وديعاً . هـذا الـذى سـجد لبنـى حـث حينمـا أخـذ منهـم أرضـاً ليدفن فيها سارة، مع أنهم كانوا يبجلونه قائلين "أنت يا سيدى، رئيس من اللـه بيننـا. فى افضل قبورنا ادفن ميتك" (تك٢٣: ٦، ٧) . ومع ذلك سجد لهم ...

ابراهيم الوديع الذى لما أخبروه بسبى لوط ضمن سبى سادوم فى حـرب أربعـة ملـوك ضـد خمسـة ، يقـول الكتـاب "فلمـا سـمع ابـرآم أن أخـاه (لوطـاً) قـد سـبى ، جـرّ غلمانـه المتمرنين، ولدان بيته ثلاثمائـة وثمانيـة عشـر، وتبعهم إلـى دان.. وكسـرهم وتبعهـم إلـى حوبة.. واسترجع كل الأملاك، واسترجع لوطاً أخاه أيضاً وأملاكه والنساء أيضـاً والشعب" (تك١٤: ١٤– ١٦) . أكانت شهامة ابراهيم ونخوته ، ضد وداعته وطيبته ؟! حاشا .

أمامنا مثل آخـر فـى امـتزاج الوداعـة بالشـجاعة والقـوة ، وهـو الصبـى داود ، فـى محاربته لجليات الجبار .

لاشـك أن داود كـان وديعـاً ، يقـول عنـه المزمـور "اذكـر يـارب داود وكـل دعتـه" (مز١٣٢: ١) .. داود راعى الغنم الهادئ صاحب المزمـار، الـذى يحسـن الضـرب علـى العود (١صم١٦: ١٦، ٢٢) . داود الحسن المنظر، الأشقر مع حلاوة العينين (١صـم١٦: ١٢) . داود هذا لما ذهب إلى ميدان الحـرب يفتقد سـلامة أخوتـه، وسـمع جليـات الجبـار يعيّر الجيش كله ويتحداه . والكل ساكت وخائف .. تملكته الغيرة المقدسة . وبكل شـجاعة وقوة وإيمان، قال "لا يسقط قلب أحد بسببه" (١صم١٧: ٣٢) . وتطوع أن يذهب ليحاربه. وتقدم نحوه، وقال له "اليوم يحبسك الرب فى يدى.." (١صم١٧: ٤٦) .

هنا الوداعة ممتزجة بالقوة والشجاعة والإيمان ...

وعلى الرغم من قوة داود وشجاعته ، لم تفارقه وداعته ، بل قال لشاول الملك فيما بعد لما طارده "وراء من خرج ملك إسرائيل؟ وراء من أنت مطارد؟ وراء كلب ميت! وراء برغوث واحد!! (١صم٢٤: ١٤) .

نضرب مثلاً آخر للإنسان الوديع ، الذى يغضب غضبة مقدسة للرب، وينتهر ويوبخ.. هو موسى النبى .

لا يستطيع أحد أن ينكر وداعة موسى النبى، هذا الذى قال عنه الكتاب "وكان الرجل موسى حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض" (عد١٢: ٣) .

فماذا فعل موسى الوديع لما نزل من الجبل ووجد الشعب فى رقص وغناء حول العجل الذهبى الذى صنعوه وعبدوه؟ يقول الكتاب "فحمى غضب موسى . وطرح اللوحين (لوحى الشريعة) من يديه وكسرهما فى أسفل الجبل . ثم أخذ العجل الذى صنعوه وأحرقه بالنار، وطحنه حتى صار ناعماً ، وذرّاه على وجه الماء.." (خر٣٢: ١٩، ٢٠). ووبخ موسى هارون أخاه رئيس الكهنة، حتى ارتبك أمامه هارون وخاف. وقال له "لا يحم غضب سيدى. أنت تعرف الشعب أنه شرّ.." وقال فى خوفه وارتباكه عن الذهب الذى جمعه من الناس "طرحته فى النار، فخرج هذا العجل!!" (خر٣٢: ٢٢، ٢٤) . وعاقب موسى الشعب . وماتت فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف ...

إذن الوداعة لا تمنع الغضب المقدس ولا المعاقبة ...

الوداعة أيضاً لا تمنع قوة الشخصية ، ولا قوة التأثير .

كان السيد المسيح وديعاً . وفى نفس الوقت كان قوى الشخصية، وكان قوياً فى تأثيره على غيره . ولكننى أريد هنا أن أضرب مثلاً فى مستوى البشر، وهو **القديس بولس الرسول** . بولس الذى شرحنا من قبل وداعته ..

يقول سفر أعمال الرسل عن القديس بولس ، وهو أسير : "وبينما كان يتكلم عن البر والتعفف والدينونة العتيدة أن تكون ، ارتعب فيلكس (الوالى) . وأجاب "أما الآن فاذهب . ومتى حصلت على وقت استدعيك" (أع٢٤: ٢٤، ٢٥) .

ولما وقف بولس الرسول – وهو أسير أيضاً – أمام أغريباس الملك، قال له أيضاً بعد أن ترافع أمامه "أتؤمن أيها الملك أغريباس بالأنبياء؟ أنا أعلم أنك تؤمن" . فقال أغريباس لبولس "بقليل تقنعنى أن أصير مسيحياً" (أع٢٦: ٢٧، ٢٨) .

وحينئذ فى قوة وعزه أجابه القديس بولس : كنت أصلى إلى الله، أنه بقليل وبكثير –

ليس أنت فقط- بل أيضاً جميع الذين يسمعونني اليوم، يصيرون هكذا كما أنا ما خلا هذه القيود" (أع٢٦: ٢٩) .. أترى تتعارض الوداعة مع هذه القوة؟! كلا، بلا شك .

ووقت الضرورة ، لا تتنافى الوداعة مع الدفاع عن الحق ...

ويتضح هذا الأمر من قصة بولس الرسول مع الأمير كلوديوس ليسياس، لما أمر أن يفحصوه بضربات ليعلم لأى سبب كان اليهود يصرخون عليه. يقول الكتاب "فلما مدوه للسياط، قال بولس لقائد المئة الواقف "أيجوز لكم أن تجلدوا رجلاً رومانياً غير مقضى عليه ؟! وإذ سمع القائد هذا أخبر الأمير ، الذى جاء واستخبر من بولس عن الأمر. وحينئذ تنحى عنه الذين كانوا مزمعين أن يجلدوه . واختشى الأمير لما علم أنه رومانى (أع٢٢: ٢٤- ٢٩) .

ما كان القديس بولس الرسول يهرب من الجلد . فهو الذى قال : "من اليهود خمس مرات قبلت أربعين جلدة إلا واحدة" (٢كو١١: ٢٤) . لكنه هنا دافع عن حق معين، وأظهر للأمير خطأ كان مزمعاً أن يقع فيه . وما كان هذا يتنافى مع وداعة القديس بولس.

وبنفس الوضع لما أراد فستوس الوالى أن يسلمه لليهود ليُحاكم أمامهم، وبهذا يقدم منة (أى جميلاً) لهم . فقال له بولس فى حزم - مدافعاً عن حقه - "أنا واقف لدى كرسى ولاية قيصر، حيث ينبغى أن أحاكم. إلى قيصر أنا رافع دعواى" . فأجابه الوالى "إلى قيصر رفعت دعواك. إلى قيصر تذهب" (أع٢٥: ٩- ١٢) .

لم يكن القديس بولس خائفاً من اليهود . ولكنه - فى حكمة - طلب هذا، ليذهب إلى رومه - حيث يوجد قيصر - ويبشر هناك . لأن الرب كان قد تراءى له قبل ذلك، وقال له "ثق يا بولس، لأنك كما شهدت بما لى فى أورشليم، هكذا ينبغى أن تشهد فى رومية أيضاً" (أع٢٣: ١١). وهكذا دافع عن حقه فى وداعة وحكمة، ودون أن يخطئ فى شئ. بل تكلم كلاماً قانونياً .

الوداعة لا تمنع من أن تنبه خاطئاً لكى تنقذه من خطأ أو من خطر .

كما قال يهوذا الرسول غير الأسخريوطى "خلصوا البعض بالخوف، مختطفين من النار" (يه٢٣) .

هل إن رأيت صديقاً أو قريباً، على وشك أن يتزوج زواجاً غير قانونى، من قرابة ممنوعة ، أو بعد طلاق غير كنسى، أو بتغيير المذهب والملة، أو أنه مزمع أن يتزوج زواجاً مدنياً أو عرفياً.. أو ما شاكل ذلك .. هل تمتنع باسم الوداعة عن تنبيهه إلى أن ما

ينوى عمله هو وضع خاطئ؟!.. كلا، بل أن من واجبك أن تنصحه .. ولكن باسلوب هادئ. تنبهه ، ولكن فى غير كبرياء وفى غير تجريح . أما إن سكّت ، فإن سكوتك سيكون هو الوضع الخاطئ . ليست الوداعة أن تعيش كجثة هامدة فى المجتمع . بل تتحرك، وتكون لك شخصيتك، إنما فى أسلوب وديع .. ولو بكلمة واحدة، كقول المعمدان "لا يحل لك" (مت١٤: ٤) .

أمامنا أيضاً مثال القديس بولس الرسول "اسهروا متذكرين أنى ثلاث سنين ليلاً ونهاراً، لم أفتر عن أن أنذر بدموع كل واحد" (أع٢٠ : ٣١) .. وداعته لم تمنعه من أن ينذر كل واحد. لكن أسلوبه الوديع ، هو أنه كان ينذر بدموع ...

حتى إن اضطر أن يقول كلمة شديدة ...

لقد اعتاد الناس على عدم سماع كلمة شديدة من إنسان وديع . فإن سمعوه يوماً يقول كلمة شديدة، سيدركون داخل أنفسهم أنه لابد أن سبباً شديداً قد ألجأه إلى هذا. ويكون للكلمة وقعها وتأثيرها فى أنفسهم ...

هل تظنون أن الوديع ، قد أعفى من قول الرب لتلاميذه "..وتكونون لى شهوداً" (أع١: ٨) . كلا، بلاشك فحينما يلزم الأمر أن يشهد للحق، لابد أن يفعل ذلك ...

هل إذا أتيحت فرصة له، لكى ينقذ شخصاً معتدى عليه، ألا يفعل ذلك باسم الوداعة؟!

هل من المعقول أن يقول "وما شأنى بذلك؟!" أو يقول "وأنا مالى ، خلينى فى حالى" !! أم فى شهامة ينقذه ، وبأسلوب وديع. كما أنقذ السيد المسيح من الرجم المرأة المضبوطة فى ذات الفعل. وقال للراغبين فى رجمها "من كان منكم بلا خطية، فليرمها بأول حجر" (يو٨: ٧) . وفعل ذلك بوداعة دون أن يعلن خطاياهم. بل "كان يكتب على الأرض" .

لعل البعض يسأل ههنا: هل يمكن للوديع أن يدين أحداً؟ وهل هناك أمثلة فى الكتاب لذلك ؟

أمامنا السيد المسيح "(الوديع المتواضع القلب)" (مت١١: ٢٩) .

هذا الذى كان يقول "لم يرسل الآب ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلص العالم" (يو٣: ١٧) . وقد قال لليهود "أنتم حسب الجسد تدينون. أما أنا فلست أدين أحداً" (يو٨: ١٥). ومع ذلك أكمل بعدها "وإن كنت أنا أدين ، فدينونتى حق" . يسوع المسيح هذا، الذى قال للمرأة المضبوطة فى ذات الفعل "ولا أنا أدينك" (يو٨: ١١) .. هو فى مناسبات عديدة، أدان كثيرين.. مثلما أدان الكتبة والفريسيين (مت٢٣) . وأدان كهنة اليهود (مت٢١: ٤٣) قائلاً لهم "إن ملكوت الله ينزع منكم، ويعطى لأمة تصنع أثماره" . وأدان

تلميذه بطرس لما أخطأ ، وقال له من جهة الصليب "حاشاك يارب" (مت١٦: ٢٣) .

كذلك فإن القديس بولس الرسول قال لتلميذه تيموثاوس "الذين يخطئون وبخهم أمام الجميع، لكي يكون عند الباقين خوف" (١تي٥: ٢٠) . فإن قلت هذا هو المسيح يدين، وذاك رسول وذاك أسقف، أقول :

هناك مواقف يجد فيها الوديع نفسه مضطراً أن يتكلم، ولا يستطيع أن يصمت. مثلما فعل أليهو في قصة أيوب الصديق وأصحابه :

كان هو الرابع من أصحاب أيوب. وقد ظل صامتاً طوال ٢٨ إصحاحاً من النقاش بين أيوب الصديق وأصحابه الثلاثة إلى أن صمت هؤلاء إذ وجدوا أيوب باراً في عيني نفسه (أي٣٢: ١) . وحينئذ يقول الكتاب "فحمي غضب أليهو بن برخئيل البوزي من عشيرة رام. على أيوب حمي غضبه، لأنه حسب نفسه أبّر من الله. وعلى اصحابه الثلاثة حمي غضبه، لأنهم لم يجدوا كلاماً واستذنبوا أيوب" (أي٣٢: ٢، ٣) .. كان أليهو إنساناً وديعاً، ظل صامتاً مدة طويلة في نقاش بين أشخاص "أكثر منه أياماً" . ولكنه أخيراً لم يستطع أن يصمت . ورأى أنه لابد من كلمة حق ينبغي أن تُقال . فقال لهم :

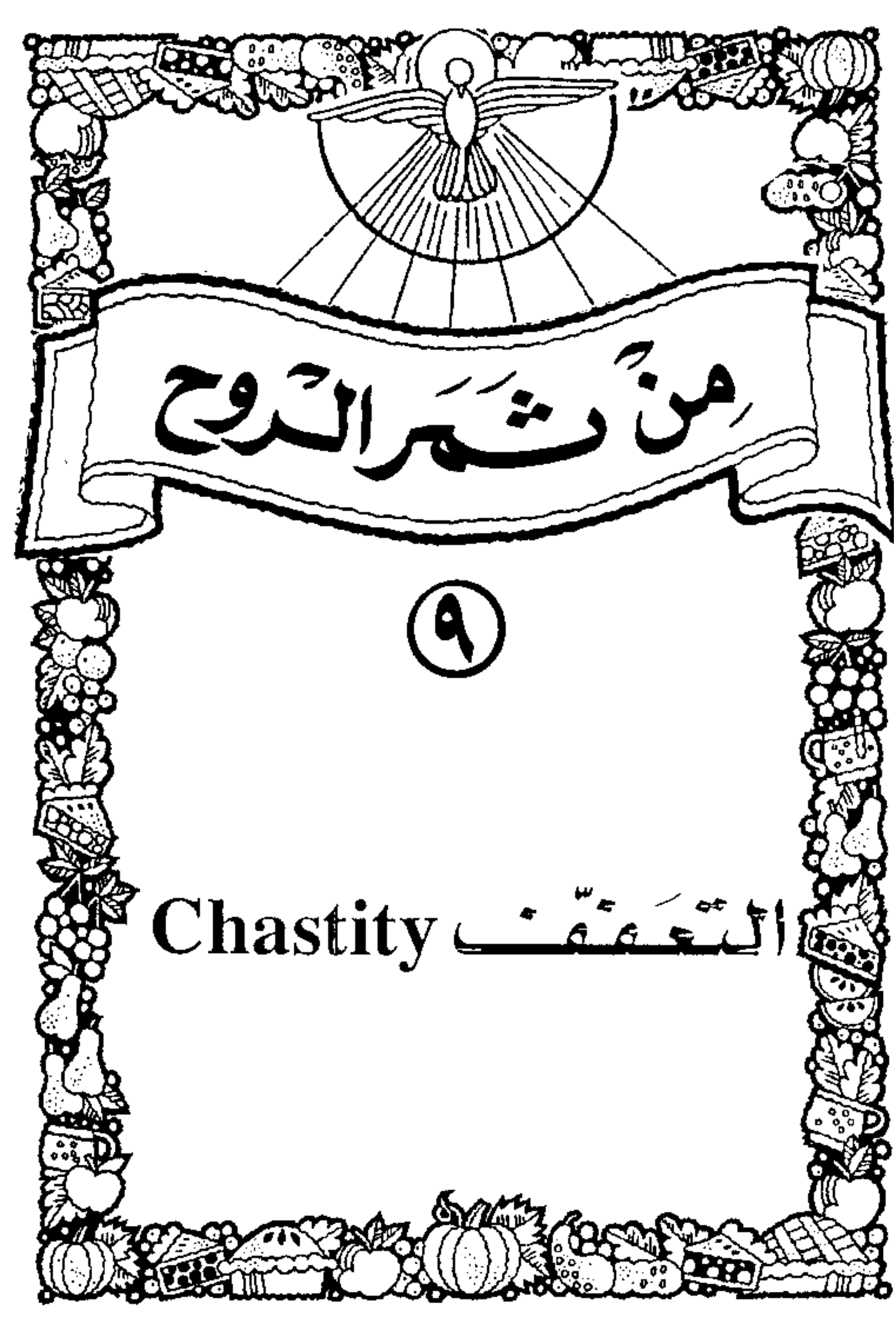
"أنا صغير في الأيام وأنتم شيوخ. لأجل ذلك خفتُ وخشيت أن أبدي لكم رأيي. قلت الأيام تتكلم، وكثرة السنين تظهر حكمة" . ولما لم يجد فيهم حكمة، تكلم ووبخ أيوب. وكانت كلمة الله على فمه. وهو الوحيد الذي لم يجادله أيوب (أي٣٢ – ٣٧) .

هناك أشخاص من حقهم – بل من واجبهم – أن يدينوا .

ولا تتعارض إدانتهم مع الوداعة . مثل الوالدين ، والأب الروحي، والمدرس بالنسبة إلى تلاميذ، والرئيس بالنسبة إلى مرؤوسيه ... إن عالي الكاهن أدانه الله لأنه لم يحسن تربية أولاده ويدينهم (١صم٣) .

هوذا الكتاب يقول "لا تخالطوا الزناة" (١كو٦: ٩) . فهل تقول "أنا لا أدين هؤلاء" ! إن عدم مخالطتهم ، وعدم مخالطة مجموعات أخرى من الخطاة (١كو٦: ١١) ، تحمل ضمناً أدانتهم . كذلك بالنسبة إلى المنحرفين في التعليم الديني، يقول الرسول "إن كان أحد يأتيكم ولا يجئ بهذا التعليم، فلا تقبلوه في البيت، ولا تقولوا له سلام. لأن من يسلم عليه، يشترك في أعماله الشريرة" (٢يو : ١٠، ١١) . فهل باسم الوداعة تقبل هؤلاء ؟!

قال الرسول "خطايا بعض الناس واضحة تتقدم إلى القضاء" (١تي٥: ٢٤) . أنت لا تدين ، بل أعمالهم تدينهم . وأنت بكل وداعة تبتعد عنهم .


مِنْ ثَمَرِ الرّوح
٩
التّعَفّف Chastity

الذى يحيا حسب الروح، لابد أن يكون التعفف من ثمر حياته الروحية. فما هو هذا التعفف؟ وكيف يمكن الوصول إليه ؟

التعفف يشمل عفة الجسد، وعفة الحواس (النظر والسمع واللمس)، وعفة اللسان، وعفة الفكر، وعفة القلب، وعفة القلم، وعفة اليد ...

ونود هنا أن نتكلم عن كل بند من هذه البنود ...

عفـة اللسـان

عفة اللسان تبعد عن كل كلمة بطالة .

هذه التى قال عنها السيد الرب "كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس، يعطون عنها حساباً فى يوم الدين" (مت١٢: ٣٦) . بل اعتبر إنها نجاسة، فقال "ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان. بل ما يخرج من الفم، هذا ينجس الإنسان" (مت١٥: ١١) . وطبعاً الإنسان العفيف لا يتنجس بأية كلمة ...

اللسان العفيف لا يلفظ كلمة شتيمة ، ولا كلمة تهكم .

الإنسان العفيف يحترم غيره ، فلا يسئ إليه بكلمة جارحة، ولا بكلام استهزاء أو احتقار أو ازدراء، فى أى حديث، أو فى أى عتاب. وأتذكر أننى فى يوم أربعين الأرشيدياكون حبيب جرجس ، قلت عنه :

لك أسلوب نزية طاهر .:. ولسان أبيض الألفاظ عفُّ

لم تنل بالذم مخلوقاً ولم .:. تذكر السوء إذا ما حلّ وصفُ

لهذا فإن الذى يستخدم ألفاظاً جارحة، أو ألفاظاً قاسية، وكأنها كرجم الطوب، ليس هو

بالإنسان العفيف اللسان .

فاللسان العفيف لا يشهر بغيره ، ولا يكشف عورة إنسان في حديثه، لأن عفته تمنعه من ذلك .

اللسان العفيف ، هو لسان مؤدب ومهذب ، يزن كل كلمة يلفظ بها ، ولا يحتاج إلى مجهود لكي يتكلم كلاماً عفيفاً، لأنه تعود على ذلك . أو هو هكذا بطبعه .

واللسان العفيف لا يتكلم كلاماً نابياً ، ولا يستخدم ألفاظاً معيبة من الناحية الخلقية .

فلا يتلفظ بكلمات جنسية بذيئة، ولا يذكر قصصاً أو فكاهات جنسية، ولا يقبل سماعها إن قيلت من غيره. ولا يردد أغاني من نفس النوع، بل يخجل من النطق بها ، ولا فيما بينه وبين نفسه في مسكنه الخاص . إنه لا يتدنى إلى هذا الوضع .

اللسان العفيف يمنعه أدبه من استخدام لغة لا تتفق وهذا الأدب الذي تعوده .

واللسان العفيف قد تعوّد أيضاً عفة التخاطب .

وقد تعوّد أيضاً على أدب الحوار .

فهو لا يقاطع غيره أثناء الحديث معه ، ولا يوقفه عن الكلام لكي يتكلم هو، ولا يعلو صوته في الحوار . ولا يحاول أن يقلل من شأن غيره في الحوار، لكي - يثبت صحة رأيه هو. ولا يهين غيره أثناء المناقشة . فكل هذه أمور لا يسمح بها أدبه .

واللسان العفيف - في حواره - يكون موضوعياً، لا يتعرض إلى الجوانب الشخصية في من يتحاور معه . وإنما يكون منطقياً فيما يقول . لا يمكن أن يصف محدثه بالجهل أو عدم الفهم. ولا يكشفه في هذه النواحي. بل يركز على الموضوع ، موضوع النقاش ...

وعفة اللسان ترتبط بها أيضاً عفة القلم .

القلم الذي يراعي كل ما قلناه فيما يكتب، فلا يشهر بأحد، ولا يجرح أحداً، ولا يعمد إلى الإهانة. ولا يشيع عن إنسان ما ليس فيه . بل يحرص على أعراض الناس، ويرى أن سمعتهم أمانة لا يمكن لقلمه أن يتجاوزها . بل هو يكتب بموضوعية نزيهة .

وهنا نرى عفة النقد ونزاهته .

النقد العادل ، البرئ ، الموضوعي ، الذي يهدف إلى الحق . ويزن الأمور بميزان سليم. ويذكر النقط البيضاء أولاً قبل غيرها من النقاط التي لا يوافق عليها . وهكذا يعطي كل ذي حق حقه .

وفى نقده لا يدخل فى نوايا الناس وفى دواخلهم التى لا يعرفها إلا الله وحده.

على أننى أقول دائماً إن خطية اللسان هى خطية ثانية .

فاللسان غير العفيف، تكون عدم عفته خطية ثانية ، تابعة لأخرى قد سبقتها وهى عدم العفة فى القلب ، التى كانت نتيجتها عدم عفة اللسان . وذلك طبقاً لقول السيد الرب "الإنسان الصالح من كنز قلبه الصالح يخرج الصلاح . والإنسان الشرير من كنز قلبه الشرير يخرج الشر . لأنه "من فضلة القلب يتكلم اللسان" (لو٦: ٤٥) .

هذا ينقلنا إلى الحديث عن عفة القلب وعفة الفكر .

عِفة القلب وعِفة الفكر

هذه العفة الداخلية ، يُبنى عليها كل تعفف من الخارج . وفى هذا قال الكتاب "فوق كل تحفظ احفظ قلبك، لأن منه مخارج الحياة" (أم٤: ٢٣) .

عفة القلب هى عفة المشاعر والعواطف والأحاسيس ، وعفة المقاصد والنيات والرغبات ...

ومن عفة القلب تصدر عفة الفكر ، وعفة اللسان ، كما تصدر أيضاً عفة الحواس . فكلها خارجة من مصدر واحد .

لذلك إن وجدت فكرك قد بدأ يسير فى مجرى غير عفيف، أسرع وقاومه . وأوقفه قبل أن يتطور إلى أجهزتك الأخرى. وهكذا يعبّر الفكر عن ذاته ، عن طريق اللسان أو الحواس أو العمل .

عفة الفكر والقلب تتعلق أيضاً بعفة العقل الباطن .

فالعقل الباطن يعمل عن طريق المخزون فيه من أفكار ، ومن رغبات وصور ومشاعر .. فإن كان المخزون فى العقل الباطن غير عفيف، حينئذ يظهر ذلك فى أحلام غير عفيفة ، وفى ظنون وأفكار من نفس النوع . مثلما قيل فى سفر التكوين عن الشجر الذى ينتج بذراً كجنسه (تك١: ١١، ١٢) .

فليحرص كل إنسان إذن على عفة قلبه وفكره ، بما يدخل فيهما من روحيات، ومن محبة للخير وللعفة ، حتى يصبحان مصدراً لكلٍ من عفة اللسان، وعفة الحواس، وعفة الجسد .

عِفـة الجسـد

عفة الجسد هى بعده عن كل شهوة جسدية رديئة ، أو كل شهوة تتعلق بمحبة هذا العالم المادى .

وقد تعرض القديس يوحنا الرسول لهذا الأمر ، فقال فى رسالته الأولى "لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم .. لأن كل ما فى العالم : شهوة الجسد ، وشهوة العين ، وتعظم المعيشة.." (١يو٢: ١٥، ١٦) .

وشهوة الجسد تشمل الزنى بكل أنواعه . كما تشمل محبة الراحة والبطنة .

وتشمل أنواعاً كثيرة مما يشتهيها الجسد ، ولكن أخطرها الزنى .

والإنسان العفيف يبذل كل جهده للبعد عن شهوات الجسد ...

فهو لا يشتهى ، ولا يثير الشهوة فى غيره ...

وإن حورب بإغراء ضد عفة الجسد ، يحارب ذلك بكل قوته .. يحارب عدم العفة بقلب طاهر ، وبإرادة قوية، ولا يسلّم سلاحه أبداً. ما أعظم قول بولس الرسول للعبرانيين موبخاً "لم تقاوموا بعد حتى الدم، مقاومين ضد الخطية" (عب١٢: ٤) .. مقاومة صادقة ، مهما كانت الظروف الخارجية ضاغطة ...

القلب العفيف هو العامل الأساسى فى عفة الجسد ..

ومثالنا هو يوسف الصديق ، الذى كانت الخطية تضغط عليه من الخارج، وتلح عليه كل يوم، ومن سيدته التى كان لها سلطان عليه، وتستطيع أن تؤذيه إذا رفض. ولكنه احتفظ بعفة جسده، بسبب عفة قلبه، وبسبب أنه كان يضع الله أمامه فى كل ما يفعل. وبسبب مبادئه الروحية التى كانت تؤمن بالعفة . فقال : كيف أفعل هذا الشر العظيم، وأخطئ إلى الله؟!" (تك٣٩: ٩، ١٠) .

إذن العفة لا تتوقف على الوسط الخارجى ، إنما على حالة القلب الداخلية ومدى عفة القلب .

لقد نجح يوسف الصديق ، ولم يكن قد ارتبط بعد بزواج يحصنه من الخطية، ولم ينجح داود الملك الذى كانت له سبع زوجات وقتما حاربته إغراء الخطية . والسبب كان هو حالة القلب الداخلية: هل هو قلب عفيف يتسامى ويعلو فوق الإغراء، مثل قلب يوسف العفيف .. أم هو قلب ضعيف من الداخل . تأتيه حروب الخطية فى وقت يكون فيه محباً

لها وغير متمسك بالعفة ، كما حدث مع داود .

عفة الجسد أيضاً ترتبط بالحشمة وعفة الملبس .

وعفة الملبس بالنسبة إلى المرأة تتعلق أحياناً بكشف جسدها بطريقة غير عفيفة: إما بملابس فيها لون من العرى الجسدى يكشف أجزاء من جسدها، أو بملابس ضاغطة، أو بملابس شفافة. وكلها تؤدى إلى نفس النتيجة ، وتكون معثرة ...

وقد تبرر المرأة هذا بأنه إظهار لأنوثتها . وفى الواقع إنه إظهار لعدم عفتها .

مهما حاولت أن تدّعى بأن هذه هى الموضة السائدة . لأنه لا يصح أن تسود الموضة على الروح . أو تكون وصايا مصممى الموضة أهم من وصايا الله .. والمرأة المحتشمة لا تقبل مطلقاً أى زىّ جديد يتنافى مع الحشمة ، أو يسبب عثرة لأحد .

وإن فعلت هذا فى أى مكان ، لا يجوز مطلقاً أن تدخل إلى الكنيسة بزى غير محتشم، وبخاصة فى وقت التناول من الأسرار المقدسة .

وقد تتنافى مع العفة أيضاً ألوان من الزينة والمساحيق .

ومعروف ما قاله القديس بطرس الرسول عن الزينة الجسدية . وقد فضّل عليها "زينة الروح الوديع الهادئ الذى هو قدام الله كثير الثمن" (١بط٣: ٤) .

نحن لا ننكر على المرأة أن تتجمل . ولكن يُسمح لها بذلك فى حدود العفة، وفى حدود التجمل غير المعثر ...

وقد لا يتفق مع التعفف أيضاً أسلوب المشى والحركة ونوعية الصوت .

فالمفروض أن تشمل العفة كل أسلوب حياتها، وأن تبعد عن كل تصرف يثير مشاعر خاطئة بالنسبة إلى غيرها ...

لعل المرأة تقول إن الرجل الذى يثار هو إنسان ضعيف ليس عفيفاً كما ينبغى.. وربما يكون هذا صحيحاً. ولكن عليها أن تراعى ضعف الضعفاء ، فلا تعثرهم . وقد قال القديس بولس الرسول "يجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل ضعف الضعفاء ، ولا نرضى أنفسنا" (رو١٥: ١) .

نحن مطالبون ليس فقط بعفة أنفسنا . وإنما أيضاً بالعمل على عفة غيرنا ، فلا يفقدون عفتهم بسببنا .

وقد جاء الحديث عن العثرة . وقال السيد الرب فى ذلك "ويل لذلك الإنسان الذى به

تأتى العثرة" (مت١٨: ٧) "خير له لو طُوق عنقه بحجر رحى وطُرح فى البحـر ، مـن أن يعثر أحد هؤلاء الصغار" (لو١٧: ١، ٢).

فعلى المرأة – كما على الرجل أيضاً – مراعاة عفة العنصر الآخر ، فلا يكـون سـبباً لمحاربته فى عفته .

المرأة بجمالها وأنوثتهـا . والرجـل بإغرائـه وعواطفـه ووعـوده ... وكذلـك بالصداقـة والألفة، التى تبدأ أولاً بريئة، أو تبدو بريئة، ثم تنتهى إلى عكس ما بدأت به ...

وعفة الجسد ينبغى أن تحفظ حتى فى غرفة الإنسان الخاصة .

سواء فى طريق جلوس الإنسان أو طريقة نومه، أو فـى حشـمته بصفـة عامـة. فـالذى يحتفظ بحشمته فى غرفته الخاصـة، سـوف يحتفظ بنفس الأسلوب العفيـف حينمـا يغـادر غرفته ويختلط بالناس . أما الذى يسلك بغير عفة فى مسكنه ، لاشك أن عدم العفـة سـوف تتبعه أينما ذهب .. التعود لازم ، ويبدأ مع الذات .

حتى فى العلاقات الزوجية ، ينبغى أن تحفظ العفة .

وفى هذا يقول القديس بولس الرسول "ليكن الـزواج مكرمـاً عنـد كـل احـد، والمضجـع غير دنس. أما العاهرون والزناة، فسيدينهم الله" (عب١٣: ٤) . إن الحلال مقبول . ولكـن لا يصل إلى التسيب ، الذى قد يتنافى أحياناً مع العفة . وهذا ما قصده الرسول بأن يكـون المضجع غير دنس .

عفة الجسد تقودنا إلى الحديث عن عفة الحواس .

ونعنى بها بوجه خاص عفة النظر والسمع واللمس .

عفـة النظـر

عفة النظر تكون فى البعد عن كل نظرة شهوانية .

ولعل هذا ما قصده القديس يوحنا بعبارة "شهوة العين" (١يو٢: ١٦) . وهـذا أيضـاً مـا قصده أيوب الصديق حينما قال "عهداً قطعت لعينىّ . فكيف أتطلع فى عذراء؟!" (أى٣١: ١)- بل هذا ما قاله الرب "إن كل من ينظر إلى إمـرأة ليشـتهيها، فقـد زنـى بهـا فـى قلبـه" (مت٥: ٢٨) .

إذن عدم عفة القلب تؤدى إلى عدم عفة النظر .

الإنسان العفيف تكون نظرته إلى أية إمرأة ، هى نظرة عفيفة لا خطيئة فيها . ولكن يبدأ عدم العفة، حينما يتلوث القلب من الداخل .

وهذا هو الذى حدث مع إمرأة فوطيفار . يقول الكتاب إنها "رفعت عينيها إلى يوسف" (تك٣٩: ٧). إنها بلاشك كانت تراه كل يوم. ولكنها فى ذلك الوقت بدأت تنظر إليه بطريقة أخرى ، بقلب دخلته الشهوة .

حدث مثل ذلك وبمعنى آخر، مع أمنا حواء بالنسبة إلى شجرة معرفة الخير والشر . كانت الشجرة فى وسط الجنة (تك٣: ٣) . ولاشك أن حواء كانت تمر عليها كل يوم وتراها، ولكن بقلب عفيف لا يشتهيها . إذن فمتى بدأت المشكلة؟ بدأت حينما تغير قلب حواء من الداخل بإغراء الحية التى قالت لها "لن تموتا.. تصيران مثل الله.." "تتفتح أعينكما" (تك٣: ٤، ٥) ... حينئذ "رأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل ، وأنها بهجة للعيون، وأن الشجرة شهية للنظر" (تك٣: ٦) . من أين أتت هذه الشهوة نحو الشجرة؟ أتت من تغير القلب من الداخل ..

الإنسان العفيف ينظر بغير شهوة ، بل فى استحياء ..

ليس فى الأمور الجنسية وحدها ، بل أيضاً من جهة نظرة الإحترام نحو من هو أكبر منه . فلا يجرؤ أن الابن ينظر إلى أبيه بغير حشمة ، بل فى توقير شديد . وقد لا يجرؤ أن يرفع عينيه إليه، أو أن ينظر نظرة تحدٍ .. قيل عن القديس الأنبا بيجيمى إنه عاش ١٨ سنة مع شيوخ قديسين فى الدير، لم يجرؤ خلال ذلك أن يرفع بصره ليملأ عينيه من واحد منهم .

هناك نظرات أخرى غير متعففة (من نوع آخر) .

مثل النظرات المتجسسة الفاحصة ، التى تريد أن تسبر غور من أمامها وتفحص دواخله، وتعرف أسراره ، أو تؤثر عليه .

عِفة الأذن

الأذن العفيفة هى التى لا تتصنت على غيرها .

أما التى تتسمع لتعرف أسراراً ليس من حقها أن تعرفها، فهى إذن ليست عفيفة .. إنها تسرق أخباراً ، وتدخل إلى خصوصيات الناس بغير حق . ولا يمكن أن يفعل هذا إنسان مهذب ...

كذلك فإن الأذن التى تلتذ بسماع أحاديث شهوانية .

أو بسماع فكاهات أو أغانٍ جنسية، هى أذن غير عفيفة .. بل تصرفها هذا نسميه (زنى الآذان) ...

أيضاً من الآذان غير العفيفة ، الأذن التى تلتذ وتستمتع بسماع مذمة الغير، أو أخبار عن سقوط أو فشل من تعاديهم . فهذا نوع من الشماتة ، لا يتفق مع العفة . وقد قال الكتاب فى ذلك 'لا تفرح بسقوط عدوك، ولا يبتهج قلبك إذا عثر. لئلا يرى الرب ويسوء ذلك فى عينيه' (أم٢٤: ١٧، ١٨) . إن هذا بلا شك لون من الشماتة . والأذن التى تلذ لها الشماتة ، ليست أذناً عفيفة .

عفة اليد

اليد العفيفة لا تمتد إلى ما لغيرها ، لا بسرقة أو نشل ، ولا بأى لون من اغتصاب حقوق الغير .

كذلك لا تعتبر يداً عفيفة التى تفرح بربح غير جائز .. قال عنه الكتاب "طامع بالربح القبيح" (اتى٣: ٣) . ويدخل فى هذا الأمر : الربا الذى يفرضه الرابى على الفقراء المحتاجين . واحتكار بعض التجار سلعاً معينة فى السوق، أو فرض أسعار عالية مجحفة بمن يشترى . فتمتلئ أيدى كل هؤلاء من مال أخذوه من تعب الناس واحتياجهم . وكما قلت عن ذلك فى إحدى القصائد :

خطفوه من فم الجوعان بل .:. من رضيعٍ لم يوفوه فطاما

ومن عفة اليد أيضاً العفة فى الطلب .

حيث يستحى الإنسان العفيف أن يمد يده . وإذا أعطى قد يستحى أيضاً أن يأخذ. بينما الإنسان غير العفيف قد يطالب ما لا يستحقه ، وكأنه حق قد سلبه منه من يعطى . وحينما يُعطى قد يستقل ما يأخذه ، فيرجعه أو يطلب بأكثر .

من أمثلة هؤلاء من يطالب الله بحقوق !!

وكالابن الضال الذى طلب من أبيه نصيبه فى الميراث (لو١٥) .

الفهرست

صفحة



في هذا الكتاب

بسم الآب والابن والروح القدس

الإله الواحد آمين

تقرأ في هذا الكتاب عن تسع فضائل هي ثمر الروح ...

ثمر لروحك الإنسانية في شركتها مع الروح القدس .

أو هي ثمر للروح القدس العامل فيك ، مع استجابتك لعمله ...

وهذه الثمار التسعة هي :

محبة	فرح	سلام
طول أناة		لطف
صلاح		إيمان
وداعة		تعفف

كل ثمرة منها ، تقودك إلى زميلاتها ، ويشترك الكل معاً .

اسأل نفسك : ماذا ينقصك من هذه الثمار ، لكي تدرب نفسك على اقتنائه . وليكن الرب معك .

البابا شنوده الثالث

